رواية المنافقين

الأشخاص

حسن بك رضوان: ٥٥ سنة موظف في المعاش (عبد العزيز خليل).[١]

فريد أفندي: ٢٥ سنة ابن عم حسن بك (الشيخ عبد الحميد).

مرسي أفندي: ٥٠ سنة صديق حسن بك (أحمد فهيم).

شعبان أفندي: ٤٥ سنة صديق حسن بك (أحمد ثابت).

رمضان أفندي: ٤٢ سنة صديق حسن بك وشقيق شعبان (حسن حبيب).

الصاغ: ٥٠ سنة ضابط في المعاش (بشارة واكيم).

الدكتور زكي: ٣٥ سنة طبيب الصحة، صديق حسن بك (محمد يوسف).

الشيخ خورشد: ٤٠ سنة مأذون الناحية (أحمد فهمي الكبير).

فؤاد: ١٧ سنة ابن مرسي أفندي (فؤاد فهيم).

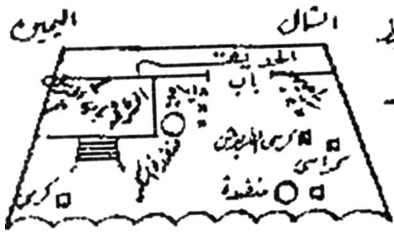
خليل: ٤٠ سنة خادم حسن بك (أحمد الصغير).

أمينة هانم: ٣٠ سنة زوجة حسن بك (فكتوريا موسى).

زينب: ٢٠ سنة خادمة حسن بك (فكتوريا سويد).

---

[١] الأسماء المكتوبة بين قوسين؛ هي أسماء ممثلي فرقة أولاد عكاشة؛ وقد كُتبت بالقلم الرصاص بخط مخالف لخط مخطوطة المسرحية. ومن الواضح أن مخطوطة المسرحية هي نسخة المخرج.



الفصل الأوّل

خارج قصر حسن بك رضوان في الريف . باب في الوسط يؤدي إلى الحديقة وعلى جانبيه أقاصيص الرياحين — شرفة في اليمين يصعد إليها ببضعة درجات تؤدي إلى باب المنزل في اليمين — إلى يسار الشرفة منضدة عليها أباريق من الماء وكؤوس وسكاكين وطبق بليمون وسكرية بها سكر — كراسي حديقة منتشرة كما هو مبين في الرسم — على أحد الكراسي في الشمال طربوش — إلى أسفل المسرح منضدة عليها سلة بها ألوان مختلفة من الحرير للتطريز

[ترفع الستار عن زينب وهي تسقي الرياحين بمرشة صغيرة في يدها ، فيدخل اللبناني خليل نجمة وهو يتلفت حوله]

الجزء العلوي من الصفحة الأولى لمخطوطة مسرحية «المنافقين».

الفصل الأول

(المنظر: خارج قصر حسن بك رضوان في الريف. باب في الوسط يؤدي إلى الحديقة وعلى جانبيه أقاصيص الرياحين، شرفة في اليمين يُصعَد إليها ببضع درجات تؤدي إلى باب القصر في اليمين، إلى يسار الشرفة منضدة عليها إبريق من الماء وكأس وسكين وطبق به ليمون وسكرية بها سكر، كراسي حديقة منتشرة، على أحد الكراسي في الشمال طربوش، إلى أسفل المسرح منضدة عليها سلة بها ألوان مختلفة من الحرير للتطريز.)

(ترفع الستار عن زينب وهي تروي الرياحين برشاشة صغيرة في يدها، فيدخل البستاني خليل بخفة وهو يلتفت حوله.)

خليل (همسًا وبدون أن تراه زينب)**:** زينب!

زينب (منزعجة)**:** مَن! (تلتفت خلفها) خليل! والله لقد أزعجتني.

خليل (باهتمام وسرور)**:** ماذا تعملين هنا يا بلهاء؟

زينب (ترفع الرشاشة إلى وجهه فيتراجع برأسه إلى الوراء)**:** حتى لا تظن سيدتي أني أهمل أزهارها.

خليل (باهتمام)**:** ألم يبلغك الخبر؟

زينب: أي خبر؟

خليل: أما رأيت الدخان الذي يتصاعد من مدخنة مطبخنا حتى كاد يحجب ضوء الشمس؟ عندنا اليوم وليمة كبرى لنحو مائة شخص أو يزيدون.

زينب (مندهشة)**:** وليمة لمائة شخص! ولأي مناسبة يا تُرى؟

خليل: تشبَّهي بي، فإني خير مثال لمن يريد راحة البال، واهتمي بالأكلات، ودعيك من المناسبات؛ لأنه يتصادف أحيانًا ...

(تدخل أمينة هانم إلى الشرفة متثاقلة الخطى مفكرة.)

أمينة (لزينب)**:** ما هذا يا زينب؟ (إلى البستاني) وما شأنك معها يا خليل؟

خليل (مرتبكًا)**:** لا شيء يا سيدتي، وأقسم بالله العظيم، إني ... إني ...

زينب (بسرعة)**:** إنه يقول لي، إن عندنا اليوم وليمة لمائة شخص.

أمينة: ومن أين هذا الخبر الغريب؟ (تنزل متباطئة).

خليل: رأيت الطباخ يا سيدتي، يذبح سبعة خراف وعشرة ديوك رومي، ونحو الثلاثين زوجًا من الدجاج والحمام.

أمينة: إذن فالمسألة مسألة وليمة بلا شك.

خليل: لمائة شخص يا سيدتي؟

زينب: هذا سيدي البك قد أتى.

(يخرج خليل من باب الحديقة وتصعد زينب إلى القصر، ويدخل حسن بك ضاحكًا من باب الحديقة وهو يفيض بِشرًا وفي يده فأس، أما ملابسه فبيضاء واسعة مما يلبسه العمال عادة.)

حسن بك (ضاحكًا)**:** هاها! (ينظر إلى ملابسه).

أمينة: ما هذه الملابس يا عزيزي؟

حسن بك: هكذا يلبس الفلاحون في فرنسا، وما دمت قد انقطعت للحياة الريفية، فقد صممت على أن أكون ريفيًّا حقيقيًّا، إنما على الطراز الأوروبي! هاها!

أمينة: لقد علمت الآن ...

حسن بك (مقاطعًا)**:** انتظري من فضلك، انتظري حتى أُفرغ لك كل ما عندي خشية النسيان ... أين كنتِ هذا الصباح؟

أمينة: كنتُ في غرفتي (تذهب إلى المنضدة السفلى وتجلس).

حسن (متأسفًا)**:** آه! ليتك كنت معي في الساعة السادسة من هذا الصباح تستنشقين أنفاس الطبيعة المنعشة! (باهتمام) اسمعي الآن لأحدثك عن الأمنيات الثلاث الكبرى التي أسعدني بها الحظ.

أمينة: خير إن شاء الله!

حسن: أما الأولى؛ فهي أن تجاربي في القطن قد أسفرت عن خير نجاح وسيكون للنوع الذي ولَّدْتُهُ شأن عظيم.

أمينة: إذن أهنئك على هذا الفوز، وما هي الثانية؟

حسن: الثانية هي أني نَصَبت عدة شِراك لذلك الثعلب الملعون الذي زار الدجاج زيارة منكرة، وسيقع الليلة في قبضتي.

أمينة: فتقتص منه طبعًا، وما الثالثة؟

حسن: الثالثة هو أنه سيزورني اليوم بضعة من أصدقائي.

أمينة: هذا هو ما أريد أن أسأل عنه؛ فكيف تدعو ضيوفًا بدون أن تخبرني؟!

حسن (ضاحكًا)**:** في الحقيقة يا عزيزتي كنت أخشى أنهم لا يلبون دعوتي، وعلى كل حال فقد أوشكوا أن يصلوا.

أمينة: وعددهم مائة كما أظن.

حسن (ببساطة ظاهرة)**:** ليتهم كانوا مائة! إنهم أربعة فقط.

أمينة (مندهشة)**:** أربعة! ولأجل أربعة تأمر بإعداد الطعام بالكثرة التي حدثني عنها البستاني؟

حسن: خليل؟ يا له من أبله! حقًّا إن الطعام كثير ولكن هذا الأحمق لم يفكر في أولاده وأولاد غيره من الخدم ولا في الفقراء الذين تموج بهم القرية، ألا يتألم كل هؤلاء عندما يروننا نولم أفخر الولائم وليس لهم فيها نصيب؟ إن للفقراء في أموالنا حقًّا، وتالله ما بارك الله في مال لم يخرج منه نصيب الفقراء فيه! ولكن أين ابن عمي؟

أمينة (منتعشة)**:** لست أدري، ولقد كنت أظنه معك.

حسن: معي؟ أبدًا! مسكين هذا الفتى. كلما أذكر أنه لم يرَ أباه وما أصيب أخيرًا من وفاة أمه حتى لم يصبح له من ذوي قرباه غيري أتألم لحاله وها هو لم يمكث معنا شهرًا حتى لزم الفراش شهرين.

أمينة: والفضل في شفائه يرجع إلى الدكتور زكي ومهارته في فنه.

حسن: وهل نسيت أنه أنقذ حياتك مرتين؟ إني من ذلك الحين أصبحت أنظر إليه كأنه أحد أفراد أسرتي تمامًا، ولو أن له بعض نظريات لا أستطيع الإيمان بها. (ينادي) فريد! فريد! لست أدري أين اختفى هذا الفتى.

(تظهر زينب من الشرفة.)

زينب: فريد أفندي ليس هنا يا سعادة البك.

حسن: هذا ما قلته (يلمح طربوشه على الكرسي، زينب تدخل المنزل) ها هو قد ترك طربوشه وخرج يتمشَّى عاري الرأس!

أمينة: وماذا يضره لو تمشَّى في الشمس قليلًا؟

حسن: الدكتور زكي منعه من ذلك.

أمينة: بل أظن أنه أوصاه بالفسحة عند الشروق.

حسن: وإذا صح ذلك فإنه يكون برهانًا مبينًا على أن الدكتور مجنون.

أمينة: مجنون!

حسن: وكيف لا وهو يوصي بأن يتمشى في الشمس؟ أوَلا يكون مجنونًا وهو الذي يدَّعي معرفة أخلاق الناس من شكل جماجمهم وطول أنوفهم؟

أمينة: ولكن …

حسن: ولكن ماذا؟ حقًّا إني أحترمه وأعترف له بفضله ولكني لا أشعر أنه من أصدقائي، فدعيني منه الآن حتى أبحث عن فريد. (ينادي) فريد … فريد! (يخرج مسرعًا.)

أمينة (تتناول قطعة الحرير وتفكر لحظة ثم تجلس وقد بدأت تطرز)**:** يا لك من مسكين يا فريد! كم أشفق عليه وكم يتزايد انعطافي إليه حتى لأتمنى ألا يفارقنا أبدًا.

(صوت فريد من الخارج يغني وصوته يقترب بالتدريج فتتنبه حواس أمينة وتصغي إليه برغبة.)

فريد (يغني)**:**

لم يَطُلْ لَيلي ولكنْ لَمْ أَنَمْ ... ونفى عنِّي الكرى طيفٌ ألم
رَوِّحي عنِّي قليلًا واعلمي ... أنني يا هند من لحم ودم

إنَّ في بُرْدَيَّ جسمًا ناحلًا   لو تَوكَّأتِ عليه لانهدم

أمينة (لنفسها)**:** يشجيني صوته الملائكي (يدخل فريد من باب الحديقة) يسرني جدًّا أني سمعتك تغني.

فريد: ولو أني لا أجيد صناعة الغناء ولكنني أغني أحيانًا على سبيل الرياضة.

أمينة: إنك لتجيد الغناء إجادة متفوقة (يحني رأسه خجلًا) ولكن كيف تخرج في الشمس عاري الرأس؟

فريد: عفوك يا هانم! فإن ما كان ليصح لي أن أترك صحبتك.

أمينة (تنادي ناحية المنزل)**:** زينب! (لفريد) ألم تلتقِ بابن عمك؟

فريد: كلا، وهل سأل عني؟

أمينة: نعم، والآن فقط (تدخل زينب) هاتِ تلك الصينية يا زينب!

زينب (وقد أتت بالصينية)**:** هل أُخبر سيدي البك بحضور فريد أفندي؟

فريد: لا لا … أظن أنه لا داعي لذلك حتى لا يؤنبني على خروجي إلى الحديقة عاري الرأس.

زينب: هل تأمرين بشيء يا سيدتي؟

أمينة: كلَّا … بل تعالي يا زينب أعدي غرف النوم للضيوف وسآتي بعد قليل لأرى ماذا عملت (تخرج زينب … خلال الحديث المتقدم تكون أمينة هانم جهزت شراب الليمون لفريد) تفضل يا فريد أفندي (تقدم له كأس الليمون).

فريد (يشرب)**:** إني لي شكر يا سيدتي يفي بعض ما تُحملينني من المعروف والفضل.

أمينة: أرجوك ألا تتكلم عن هذا (تقدم إليه كأسًا آخر).

فريد (يتناولها)**:** سامحيني فإني لا أستطيع أن أتكلم في غير هذا الموضوع؛ إذ لولاك لما نهضت من فراش سقامي (يشرب ويضع الكأس على المنضدة).

أمينة: وهل نسيت فضل الطبيب؟ لا تضطرب فإني ما زلت أخشى عليك الانتكاس.

فريد (بحرارة)**:** ليتني أنتكس يا سيدتي فأستمتع مرة أخرى بعذوبة حنانك؛ لأن الألم الذي يصحبه هذا العطف لا يكون ألمًا بل سرورًا.

أمينة (ضاحكة)**:** قلت لك دعنا من هذا الموضوع.

فريد: إن الاعتراف بالجميل هو دَين القلوب.

أمينة: إني لأشكر لك رقة إحساسك، ولكني ألاحظ من اضطرابك أنك لا تزال تحت تأثير الحمى.

فريد: ربما كنت لا أزال مريضًا، ولكن الذي أشعر به وقد ملأ كل قلبي يجب أن أصرح به.

أمينة: لا تُثِرْ عواطفك؛ لأني علمت من الدكتور أن مرضك لم يسببه إلا تهيج العواطف، ومن كان في سنك فإنه يستطيع أن يجد إلى العزاء سبيلًا.

فريد: وكيف يا سيدتي وأنا وحيد كما ترينني وليس لي صديق؟!

أمينة: ألا تجد في ابن عمِّك حسن بك أكبر صديق لك؟

فريد: إن صداقة النساء وحدها هي التي تنزل على القلب بردًا وسلامًا، فأنا في حاجة إلى حنان كحنانك أنت.

أمينة: إنما تطيعني كما لو كنت أختك الكبرى؟

فريد (بشغف)**:** إذن فقد قَبِلتِ أن تكوني صديقتي؟

أمينة (ضاحكة)**:** نعم، قبلت مع كل ما يترتب على ذلك من المسئولية.

فريد: شكرًا لك يا سيدتي، بل صديقتي، وألف شكر (تدخل زينب).

زينب: الدكتور زكي بك يا سيدتي.

أمينة: دعيه يتفضل (تخرج زينب).

فريد (يقف متأففًا)**:** لست أدري لماذا أصبحت لا أميل إلى هذا الطبيب؟!

أمينة: إنه لآية في الأدب وحسن الخُلق، وإنك لا تزال تحت رعايته.

فريد: ولكني لاحظت عليه أخيرًا أنه ينظر إليَّ نظرات لا أفقه سرها (يدخل الطبيب).

الدكتور: سلام يا هانم (يصافحها ثم يتقدم إلى فريد ويصافحه وهو ينظر إليه بدقة) وأنت؟ كيف حالك اليوم؟

أمينة: ألا ترى تحسينًا في صحته يا دكتور؟

فريد: تحسين كبير (تدخل زينب وتهمس في أذن أمينة هانم).

أمينة: عن إذنك برهة يا دكتور (وهي على الدَّرَج ووراءها زينب) سأعود حالًا.

الدكتور: تفضلي يا هانم (لفريد) لم تقل لي كيف أنت (يلمح شراب الليمون وقطعة التطريز).

فريد: يظهر أن الحمَّى قد عاودتني (الدكتور يمسك يده ويفحصه ثم يلبس نظارته وينظر إليه من أعلى إلى أسفل).

الدكتور (بتهكم)**:** ظاهر ظاهر!

فريد: ولكن ما لي أراك تنظر إليَّ كما لو كنت مرتابًا في قولي؟! فهل تنكر أني كنت مريضًا؟

الدكتور: وكيف أُنكر ذلك وقد عالجتك شهرين وعرفت السبب الحقيقي الذي سبَّب لك المرض؟ وبالاختصار فإني أعرف كل شيء.

فريد (على حِدة)**:** يعرف كل شيء (للدكتور) وما ذلك الذي تعرفه؟

الدكتور (يتناول قطعة التطريز ويقلِّبها في يده)**:** انظر إلى هذا التطريز نظرة مفكر حكيم، ألا ترى أن هذه الألوان المختلفة قد اختلطت بعضها ببعض اختلاطًا لا شيء من التناسب فيه بالمرة؟ وكيف أن عقد الخيوط الحريرية قد أغفلت ظاهر القماش بتأكيد معنوي بسبب عدم العناية وانشغال البال؟ ثم لا تنسى أن هذا التطريز هو إطار ستوضع فيه صورة ابن عمك حسن بك (يتناول كأس الليمون ويملؤه) وهذا شراب الليمون انظر كيف صُنع بمزيد الدقة والعناية! وَسَلِ ابنَ عمِّك كم مرة في حياته شرب مثل هذا الشراب؟

فريد: ما هذا؟ أراك قد تدخلت فيما هو ليس من شأنك! ومع ذلك فاعلم أنك قد أخطأت في كل ما ذهبت إليه.

الدكتور: تالله ما خانتني الفراسة قط!

فريد: وعلام؟ بثني ظنونك حتى أفنِّد دعواك (يدخل حسن بك).

حسن (للدكتور)**:** أنت هنا؟ مرحبًا … مرحبًا (يصافحه) وفريد أيضًا. (فيقول لفريد) أين كنت يا خبيث؟ (للدكتور) ما الذي تراه في حالته يا دكتور؟

الدكتور: تقريبًا قد زالت عنه الحمَّى، إنما لا يزال عنده تهيج في المجموع العصبي.

حسن (يهز رأسه بحالة جِد وتخوُّف)**:** آه … هذا ما ظننته وخشيته!

الدكتور (ينزل مع حسن بك)**:** وهو في حاجة إلى الرياضة والرياضة الشديدة كالمشي مثلًا، ويحسن أن تصحبه كل يوم في فسحة طويلة على الأقدام.

حسن: فسحة طويلة!

الدكتور: نعم نعم، على قدر ما تستطيع، وكلما كان بعيدًا عن المنزل كلما كان ذلك في صالحه وصالحك، إنما لا تتركه وحده مطلقًا؛ لأن الوحدة تسبب الأفكار.

حسن: أما من هذه الوجهة فلا تَخَفْ؛ لأن أمينة هانم لا تفارقه قط (تدخل أمينة) وها هي قد أتت فاسألها إذا كانت تفارقه لحظة واحدة.

أمينة: إني دائمًا معه.

الدكتور: آه حسن جدًّا إذن فلا خوف عليه مطلقًا (يتناول طربوشه وعصاه).

حسن (لنفسه)**:** أخشى أن ينتكس المسكين عقب فسحة اليوم؛ إذن يجب أن أدعو الدكتور ليتناول الغداء معنا حتى لا نفتقد معونته عند الحاجة.

الدكتور (مستأذنًا في الانصراف)**:** أرجو أن تسمح لي يا بك ...

حسن (مقاطعًا)**:** لا لا، لا تهرب منا فإنك ستتناول الغداء معنا.

الدكتور: إني يا عزيزي البك ...

حسن (مقاطعًا)**:** لا لا، لا أستطيع أن أقبل لك عذرًا، ويجب ويلزم ويتحتم أن تمكث معنا.

الدكتور: ما دام الأمر فيه وجوب وإلزام وتحتيم فها أنا معكم (يضع طربوشه وعصاه ... أمينة تطلع قليلًا وفريد يتناول جريدة ويلحق بها).

حسن: الآن أصبت وأحب أن تشترك معي في الترحيب بالضيوف الذين سيشرفونني بعد قليل.

الدكتور: إذن فأنت اليوم تنتظر بعض الزائرين؟

حسن: نعم، ويسرني هذا جدًّا وبهذه المناسبة أخبرك يا دكتور أن عندنا غرفة فرشناها أخيرًا وزينَّاها أبدع زينة فحيطانها وسقفها أزرق سماوي بديع موشَّى بماء الذهب وستائرها وفرشها الثمين من هذا اللون أيضًا ونوافذها مشرفة على المزارع والحقول فكأنها جنَّة في البيت، وهذه الغرفة هي التي أسميها غرفة الصديق ولا يروقني أي منزل إلا إذا كان فيه غرفة صديق كهذه.

الدكتور: إنك ممن يقدسون الصداقة والأصدقاء.

حسن: كل التقديس، وكم يحلو لي أن أرى أصدقائي حولي تفيض قلوبهم بِشرًا وحبًّا، وتعلو شفاههم ابتسامات الإخلاص الطاهر! فما أجملَ حياةَ المرء وحوله أصدقاؤه المخلصون! إني دائمًا لسعيد، ويزيد سعادتي وجود من يشاركني فيها.

الدكتور (ينظر إلى فريد وأمينة وهما يتحادثان)**:** إذا كان الأمر كذلك فهنالك من هو مستعد لمشاركتك في سعادتك.

حسن: تعني فريدًا ابن عمي؟ ولكنه لا يكفي وعندنا غرف أخرى كثيرة ويسرني أن أراها كلها ملأى بالأصدقاء، وعندما كنت في القاهرة في الأسبوع الماضي دعوت كلَّ من صادفته من أصدقائي لتمضية ما يشاء من الأيام في ضيافتي هنا.

الدكتور: إذن فسيضيق منزلك بالزائرين!

حسن (يضحك مسرورًا)**:** حبذا حبذا! إن مزاجي يا دكتور اشتراكي محض، حتى إني ألتصق بالناس بمجرد التعارف وعندي خاصية لاتخاذ الأصدقاء، فهل لك مثل هذه الخاصية يا دكتور؟

الدكتور: كلَّا يا سيدي، وليس لي أصدقاء.

أمينة: لا صديق لك يا دكتور؟ ولماذا؟

الدكتور: لأني يا سيدتي لم أعثر بعدُ على من يستحق أن يحمل هذا اللقب المقدَّس؛ إن حسن بك يبحث عن الكمية أما أنا فأبحث عن الجوهر.

حسن: هذه هي إحدى النظريات التي يختلف نظرنا فيها (إلى أمينة) هل أعددت لوازم الضيوف يا أمينة؟

أمينة: لقد تركت زينب تجهِّز اللازم.

حسن (متأففًا)**:** زينب! زينب! بل أنت التي تجهزين كل شيء حتى لا يشعر أحد من الضيوف بِذرَّة من الإهمال أو التقصير، أنت ربة الدار يا أمينة فلا تعتمدي إلَّا على نفسك!

أمينة: لقد أوضحت لها كل ما يلزم عمله وأشرفت عليها عندما أتى الدكتور، وها أنا ذاهبة أيضًا لأرى ماذا عملت (تطلع الدَّرَج) عن إذنك يا دكتور (تخرج).

حسن: لا يمكن للمرأة أن تعترف بخطئها إذا أخطأت، ولكنها دائمًا تأتي بالمعاذير والمبررات (يدخل خليل من باب الحديقة).

خليل (لحسن بك)**:** بالباب شخصان يقول أحدهما إنه صديق سعادتك ولم يشأ أن يذكر اسمه.

حسن (متهللًا)**:** صديق! إن طالعي لسعيد (يدخل شعبان أفندي ورمضان أفندي من الوسط يتبعهما عتَّال يحمل لهما المنضد) شعبان أفندي ورمضان أفندي! مرحبًا مرحبًا! هذا فضل منكما عظيم.

شعبان: نعم ها قد حضرنا، هات ريالًا لأصرف العتَّال؛ إذ ليس معي عملة صغيرة (يتناول النقود ويعطي العتَّال بعضها ويضع الباقي في جيبه، وخلال ذلك ينقل خليل المنضد إلى أعلى).

حسن: تالله إن هذا الفضل منكما حقًّا! آنستما وشرفتما!

رمضان: ما دام ليس لنا منزل في الريف ونريد استنشاق الهواء الطلق فليس لنا من سبيل غير الحضور إليك، والمرء مدين لنفسه بالطبع.

شعبان أفندي: إن مرور السنين يا حسن بك لم يترك على جبينك غضونًا ولا أثرًا.

حسن: ببساطة ذلك لأني لا أحمل همًّا.

الدكتور (على حدة)**:** براعة استهلال!

رمضان (وهو يفحص المكان بنفسه)**:** يا لله! إنه لقصر حقًّا!

حسن (ينزل بشعبان وأخيه)**:** شعبان أفندي موظَّف بمصلحة الصحة، وشقيقه رمضان أفندي بمصلحة المساحة (الدكتور وفريد ينحنيان) الدكتور زكي طبيب صحة المركز وطبيب العائلة أيضًا ... فريد ابن عمي.

شعبان ورمضان (بامتعاض)**:** تشرفنا!

حسن: هل تحبَّان أن تريا الغرفة المُعدَّة لكما؟

شعبان: لا بأس وليذهب أخي رمضان.

حسن: فريد، اذهب مع رمضان أفندي وأَرِهِ الغرفةَ الزرقاء.

رمضان (على حدة)**:** كأن عندهم عشرين غرفة (يخرج مع فريد).

شعبان (بغيظ)**:** إن الحظَّ وحدَه هو كل شيء في هذا العالم، فلا الذكاء ينفع ولا الهِمَّة تُغني، فسبحان العاطي الوهاب!

الدكتور: سبحان مالك الملك!

زينب (في الخارج)**:** من هنا يا سيدي؟

حسن: برافو! زائر جديد!

(تدخل زينب أمام مرسي أفندي وخلفه فؤاد ولده.)

مرسي: بالطبع من هنا؛ فهل حسبتيني أعمى لا أرى الباب؟

حسن: مرسي أفندي! أهلًا أهلًا!

مرسي: بالله استرح لا تتعب نفسك؛ لأني أنا شخصيًّا لا أحب ذلك، خذ هذه (يتناول حقيبة وهي عبارة عن سجادة مطوية داخلها ملابس).

حسن: اسمحوا لي يا سادة أن أقدِّم إليكم صديقي القديم مرسي أفندي.

مرسي: صديقك القديم! وهل رأيت على وجهي أو على ملابسي ما يدل على القِدم، خذ هذه (يتناول المظلة) إني لا أحب أن أُتعب أحدًا، هات حقيبتك هنا يا فؤاد (يتناولها من ولده ويعطيها لحسن بك) ولدي الوحيد أيها السادة أدَّبته بنفسي وهذبته ... أطهر من زهرة وأودع مِن حَمَل!

الدكتور: من شابه أباه فما ظلم!

حسن: إني لا أنسى لك فضلك لوفائك بوعدك.

مرسي: نعم، وتالله ما فعلت هذا من قبل لأحد غيرك؛ لأني لا أحب الريف.

الدكتور: وهل هذا ممكن؟

(يدخل فريد.)

فريد: لقد استنسب رمضان أفندي أن يلزم غرفته قليلًا.

شعبان: لا بأس، ولعلَّه في حاجة إلى الراحة.

مرسي (للدكتور)**:** لا أطيق الريف قط يا سيدي؛ لأنه قبل كل شيء ترى الأشجار الضخمة التي تحجب ضوء الشمس، والأزهار التي تورث الصداع برائحتها، والطيور التي تُصم الآذان بصياحها. والخلاصة أن حسن بك ضايقني كثيرًا بإلحاحه عليَّ في الحضور إلى هنا حتى أضجرني، فقلت لولدي هيا بنا يا فؤاد لتلبية هذه الدعوة عسى ألا يضايقنا حسن بك بمثلها في المستقبل!

حسن (يصافحه)**:** تالله إنك لكريم جدًّا!

الدكتور (على حدة)**:** كريم ذو انتقام!

حسن: ولو كنت حضرت قبل الآن بقليل لكنت نزلت في الغرفة الزرقاء، ولكن شعبان أفندي سبقك إليها.

مرسي: أوه، لا بأس ما دام عندك ما هو خير منها.

حسن: عندنا الغرفة القرمزية وهي بديعة جدًّا.

مرسي: الغرفة القرمزية …

الدكتور: وعلى كل حال فمسألة لون الغرفة أمر لا يهم في الظلام.

مرسي: أنا لا أحب الريف ولا أحب أن أُتعب الناس، إنما لا يصح أن يغادر المرء مصر الزاهرة ويهجر فراشه الوثير لأجل غرفة (باحتقار) في الريف (لولده) أظن أنه خير لنا يا فؤاد أن نعود إلى مصر بأول قطار!

فؤاد: نعم يا أبت.

مرسي: نعم نعم، يجب أن نرحل في الحال (يمشي).

حسن: لا لا، هذا لا يكون أبدًا، ويمكننا التوفيق فهل تسمح بغرفتك الزرقاء يا شعبان أفندي؟

شعبان (لحسن بك على حِدَة)**:** بالطبع لا، ولماذا أعطيه إياها؛ ألأنه غني وأنا فقير؟

فريد: لا تتكدر يا شعبان أفندي، فإني متنازل عن غرفتي.

مرسي: أوه! يا لله، يا لله! إني آسف جدًّا لأني أتعبتكم هذا التعب وأظن أنه خير لنا أن نرحل عنكم!

حسن (يأخذ منه الحقيبة)**:** لا لا، ولقد تنازل فريد أفندي عن غرفته وهي آية في الإبداع كلها بالحرير الأصفر الموشَّى، وفي داخلها غرفة أخرى وحمَّام أيضًا تام المعدات، فماذا تريد أكثر من ذلك؟

مرسي: لست مغرمًا باللون الأصفر ولا أحبه؛ إنما إرضاءً لخاطرك ولأني لا أحب أن أُتعب أحدًا (يدفع الدكتور ناحيته بعنف ويجلس على كرسي) ولأني أحب أن …

حسن: تريح نفسك.

مرسي: أريح نفسي … أقصد أن أقول: ولكي أريح كل إنسان؛ فقد عوَّلت على البقاء.

حسن: شكرًا لك يا أخي.

مرسي (إلى الدكتور)**:** أرجوك أن تجلس.

الدكتور: شاكر فضلك؛ فإني لا أحب الجلوس.

مرسي: تكرَّم عليَّ واجلس؛ لأني عندما أرفع رأسي أُصاب بالصداع.

الدكتور: إذن فلأجلس.

مرسي: نعم، ولنرفع الكلفة بيننا فإني وحسن بك كأننا أخوان، وقد افترقنا عندما كان حسن بك كثير الأشغال وفي حالة عسر، ولكني وجدته بعدها وكثيرًا ما يعثر المرء بأصدقائه.

حسن: بالطبع يتقابلون ما داموا على قيد الحياة.

الدكتور: ولا سيما إذا كان أحدهم قد أصاب نجاحًا في حياته!

مرسي: نعم … (مرتبكًا) أقصد أن أقول … إنهم في هذه الحالة …

الدكتور: يكون العثور عليهم أسهل.

مرسي: نعم، هذا ما أريد أن أقوله. (إلى حسن بك على حدة) متى تعرَّفت بصديقك هذا؟

(يدخل الصاغ بيومي ببدلة عسكرية تلفت النظر لعدم انتظامها وما هو ظاهر عليها من آثار القِدم.)

الصاغ: سلام أيها السادة! هل هذا منزل صديقي العزيز حسن بك؟

حسن: صديقي العزيز (اندهاش عام).

الصاغ: ما لكم ساكتون؟ أليس فيكم من يستطيع الجواب؟

حسن: عفوًا يا صديقي العزيز؛ فإنك ما دمت صديقًا لي عزيزًا فإني أنا حسن بك.

الصاغ: ولماذا لم تقل ذلك يا خبيث في الحال؟! (يأخذه بين ذراعيه بشكل يضايق كثيرًا حتى يتململ حسن بك).

حسن (يتنفس الصعداء ويمسح جبينه من العرق)**:** إنما يظهر أني ضعيف الذاكرة جدًّا؛ لأني لا أذكر تمامًا …

الصاغ: ماذا؟ أنسيت أيام الدعارة التي أمضيناها معًا في صبانا؟ أنسيتني بهذه السرعة؟

حسن (مرتبكًا خجلًا)**:** لم أنسَ ولكن يظهر أن مُضيَّ السنين الطويلة …

الصاغ: على كل حال يَسرُّني جدًّا أن أراك يا حسن بك، والآن أين أضع حوائجي ومتاعي؟ (يخرج من الوسط ويعود ومعه أحمال كثيرة منها صندوق من الخشب يجلس عليه).

شعبان: شيء غريب! أهذا الرجل صديقك حقيقة؟

حسن: إنه يزعم ذلك، وأعتقد أنه لا بد أن يكون من أصدقائي.

شعبان: إذن فأنت مُصَدِّقٌ دعواه؟

حسن: الحقيقة إن لي أصدقاء كثيرين وترجع معرفتي ببعضهم إلى عشرين أو ثلاثين سنة مضت؛ لذلك أراني معذورًا إذا الْتَبس عليَّ الأمر، ومع هذا فإني دائمًا أميل إلى حسن الظن.

مرسي: وما اسمه؟

حسن: هذا هو أدهى ما في الأمر؛ إني لا أعرف اسمه!

شعبان: يمكنك أن تسأله!

مرسي: نعم سله عن اسمه، ولكن لا تَدْعُه إلى تناول الطعام معنا؛ لأن مجرد النظر إلى صورته يُفقدني الشهية للطعام.

حسن: ولكن يا عزيزي …

الصاغ: علامَ تتهامسون وتتغامزون؟ لقد انتظرت عليكم طويلًا لعلكم تستحون فما استحى منكم أحد، فما الخبر؟

حسن: لا شيء، ولكني أحب أن أعرف يا عزيزي …

الصاغ: ماذا؟ تكلم! قل!

حسن: أظن يا عزيزي أنك … لعلك … أظنك لا تنوي الإقامة.

الصاغ: لا لا لن أقيم طويلًا! شهر واحد فقط.

الجميع: شهر!

الصاغ: نعم شهر واحد فقط مع مزيد الأسف! وعلى كل حال فيمكنكم انتهاز هذه الفرصة لتستمتعوا بوجودي بينكم هذه الفترة القصيرة (إلى حسن بك) ياه لا أنسى آخر مرة قابلتك فيها في منزل … هاها! وكنت ليلتها في أشد أحوال السكْر!

حسن: أحوال السكْر! تالله ما ذقت الخمر في حياتي!

الصاغ: لعلك مُستحٍ من السادة الموجودين؟

حسن: ليس الأمر كذلك، ولكن المسألة في الحقيقة … والله لا أدري ماذا أقول!

مرسي (على حِدَة)**:** يظهر أنه سكران ولا شك.

الصاغ: لقد كان حسن بك فيما مضى متهتِّكًا عربيدًا (يدخل خليل ويهمس في أذن سيده ثم يخرج).

حسن: تفضلوا الغداء يا سادة!

مرسي: الغذاء! (ينظر في ساعته) لا لا! هذا موعد باكر جدًّا؛ فإني لا أتغدى قبل الساعة الثانية. أليس كذلك يا فؤاد؟

فؤاد: نعم يا أبت.

الدكتور: وموعدي أيضًا.

حسن: أؤكد لك يا مرسي أفندي أننا هنا نجد قابلية للطعام قبل أذان الظهر، فما بالك والساعة الآن الواحدة بعد الظهر؟

مرسي: نعم يا عزيزي، ولكن كم يكون مقدار هذه القابلية في الساعة الثانية؟

فريد: إذن حسمًا للنزاع فلنجعل الغداء في منتصف الساعة الثانية، وأظن هذا الموعد يناسب الجميع.

مرسي: أرجو ألا تُحدثوا أي تغيير في مواعيدكم مراعاةً لي؛ لأني لا أحب أن أُتعب أحدًا ولست محبًّا لنفسي فلا داعي للتأخير هيا بنا.

حسن: لا لا، يمكننا أن ننتظر (مرسي يقترب من الباب).

فريد: يا لله! انتظر يا مرسي أفندي!

مرسي: إني لا أحب أن أُتعب أحدًا.

الدكتور: إنك لتولينا فضلًا عظيمًا إذا انتظرت.

مرسي: ما دمت أُوليكم فضلًا بانتظاري إذن …

رمضان (نازلًا من المنزل)**:** لو لم أسمع هذه الضجة لكنتم نسيتموني من الطعام.

حسن: لا والله يا رمضان أفندي، ولقد كنت على وشك أن أدعوك بنفسي.

شعبان (لرمضان على حدة)**:** هذا لأننا فقراء يا أخي، ولكن انظر إلى هذا الرجل فإنهم لأجل خاطره قد أخَّروا موعد الطعام نصف ساعة!

حسن: إذن فليكن كل منا يا سادة على حريته حتى يحين وقت الغداء، فمن كان منكم لا يقر بقابليته فيمكنه أن يستنشق الهواء الطلق في البستان.

(يدخل خليل من الوسط يحمل الجرائد.)

خليل: الجرائد يا سيدي.

شعبان (يخطفها من الخادم)**:** دعني أرى الأخبار المحلية أولًا (يذهب يمينًا مع أخيه حيث يقتسمان الجرائد ويخرجان من الوسط إلى الحديقة، وحسن بك يُخرج سجارة من علبته ويضعها في فمه).

الصاغ: سجارة! شكرًا لك (يخطفها من فمه) لا لا … لا تتعب نفسك فإن معي كبريت (يذهب شمالًا حيث يشعل سجارته ويخرج وهو يدخن).

فريد: فلأذهب لتناول دوائي قبل الغداء (يدخل المنزل).

مرسي: أين طربوشي؟ إني لا أستطيع أن أخرج في الشمس عاري الرأس (يتناول طربوش حسن بك من على رأسه) كأنه طربوشي تمام (يخرج مع ابنه من الوسط).

الدكتور (ينظر إلى حسن بك لحظة)**:** أما أنا يا عزيزي حسن بك فأرجو أن تسمح لي … بالانصراف (ينحني) أسعد الله صباحك (يخرج من الوسط، ويظل حسن بك واقفًا في وسط المسرح مندهشًا مبهوتًا عاري الرأس).

(تنزل الستار)

الفصل الثاني

(المنظر: غرفة تطل على الحديقة وبابها في الوسط يؤدي إليها بابان آخران؛ أحدهما في اليمين والآخر في الشمال، ثلاثة كراسي في اليمين، كنبة وكرسيان في الشمال، منضدة في الوسط إلى جانبها كرسيان.)

(ترفع الستار عن زينب وهي ترتب الأثاث. الفتى فؤاد جالس على الكنبة في الشمال يتظاهر بالمطالعة في كتاب في يده وهو في الواقع يراقب زينب.)

زينب (على حِدَة)**:** يتظاهر بالمطالعة وهو في الحقيقة يختلس النظرات إليَّ.

(يدخل الشيخ خورشِد من الوسط.)

خورشد: يا زينب! هل صديقي العزيز حسن بك هنا؟
زينب: نعم يا شيخ خورشِد، ولكنه لم يستيقظ بعد.
خورشِد: لا توقظيه؛ لأني أريد فقط أن أدخل المكتبة.
زينب: هل تحتاج إلى شيء منها فأُحضره لك؟
خورشد: لا داعي لأن تُتعبي نفسك يا ابنتي والمفتاح في الباب بالطبع (يدخل يمينًا).
زينب: تلك عادته فإنه يدخل إلى المكتبة بغير تكليف ويخرج منها مُحمَّلًا بنفائس الكتب؛ وذلك على سبيل الاستعارة ولكنه لا يردها.

فؤاد: ومن يكون الشيخ خورشِد هذا؟

زينب: مأذون الناحية وخطيب وإمام في الجامع يزورنا كثيرًا؛ ليحمل من منزلنا كل ما تصل إليه يده لأنه من أصدقاء سيدي البك.

فؤاد: وهل هو صديقه حقيقة؟

زينب: كل الناس أصدقاء لسيدي.

(يدخل الشيخ خورشِد من اليمين يحمل حِمْلًا من الكتب.)

خورشد: قولي لحسن بك إني قد استعرت من مكتبته كتابين أو ثلاثة.

زينب: ولكني أرى يا شيخ خورشد …

خورشد: لا بأس لا بأس ما دمت سأردها مع الكتب الأخرى.

زينب: ومتى هذا الوعد؟

خورشِد (متممًا)**:** إن كنتم صادقين؟ (ضاحكًا) آه يا خبيثة! إننا جيران وحسن بك رجل طيب (يخرج من الوسط).

زينب: يتخذ من الجوار والطيبة مبررًا لنقل المكتبة إلى داره. (إلى فؤاد) ما هذا الذي تقرؤه؟

فؤاد: هذا كتاب اسمه (يلتفت حوله) «صناعة الحب» يحوي أرق وأظرف الأشعار الغرامية التي كُتبت في اللغة العربية.

زينب: وهل يعطون في المدارس كتبًا كهذا؟

فؤاد: المدارس؟ إني ولله الحمد لم أذهب إلى مدرسة قط.

زينب: إذن فكيف تعلَّمت القراءة والكتابة؟

فؤاد: أبي هو الذي علمني؛ لأنه يقول إن المدارس تفسد الأخلاق! مبدأ غريب أليس كذلك؟

زينب: جدًّا.

فؤاد: إنما لاحظي ألا يرانا معًا.

زينب: ولماذا؟

فؤاد: لأنه يحرم عليَّ النظر إلى الفتيات الجميلات أو التكلم مع النساء على العموم.

زينب: وأيضًا لا تكلم النساء على العموم؟

فؤاد: نعم … إلا عمتي.

زينب: إذن فَعَمَّتُكَ ليستِ امرأةً.

فؤاد (ضاحكًا)**:** غالبًا، ولكني أحب التحدث معك.

زينب (ضاحكة بدلال)**:** ولكني من النساء!

فؤاد (ضاحكًا)**:** وأحب الضحك معك.

زينب: وإذا رآنا والدك؟

فؤاد: أوه! دعينا من أبي فإني لا أخبره، وأنت بالطبع أليس كذلك؟

زينب: من غير شك.

فؤاد: وأقول لك فيما بيننا (يتلفت حوله).

زينب: ماذا؟

فؤاد: كلمة في أذنك (يقترب منها ويضع يده حول رقبتها ويقبِّلها. في هذه اللحظة يدخل الدكتور من الوسط فيقع الكتاب من يد فؤاد وهو يجري بسرعة خارجًا من الشمال وزينب تجري من اليمين).

الدكتور: أطهر من زهرة وأودع من حَمَل! (يتناول الكتاب ويقرأ عنوانه «صناعة الحب») إذن فقد كان يطبِّق العلم على العمل (يفكر قليلًا) ولكنهما فتًى وفتاة وربما كان لهما من الشباب وسوء التربية عذر يُلتمس، آه! ها قد أقبل اثنان من الأصدقاء! (بلهجة تهكم وازدراء … يذهب يمينًا ويراقب دخول شعبان أفندي ورمضان أفندي من الوسط).

شعبان (بضحكة متكلفة دون أن يريا الدكتور)**:** هاها! لقد أصبحت لا أكترث لهذا المنزل كثيرًا.

رمضان: كذلك أنا.

الدكتور (على حِدَة)**:** نِعْمَ الأصدقاءُ!

شعبان: والبستان يا أخي (بازدراء) أقبح ما رأيت في حياتي … لا تنسيق ولا نظام.

رمضان: وهل نسيت الدجاج والحمام؟

شعبان (هازئًا)**:** أكوام من العظام!

رمضان: عناية فائقة جدًّا في تربية الطيور هاهاها (الدكتور يسعل فيستلفت نظرهما).

شعبان: الدكتور؟! (مرتبكًا) صباح الخير يا دكتور.

الدكتور: أسعد الله صباحك يا شعبان أفندي، إنك تستيقظ مبكرًا حتى لأخشى أنك لا تحتاج إلى طبي في يوم ما.

شعبان: حقًّا لقد استيقظت أنا وأخي مبكرَين؛ رغبةً منا في مشاهدة المزرعة.

رمضان: المزرعة! بل المملكة يا أخي! هاها!

الدكتور: ثروة طيبة أليس كذلك؟

شعبان (يقلب بعض أوراق على المنضدة)**:** يجب أن تكون كذلك بناءً على الجعجعة التي سمعنا عنها من حسن بك.

رمضان: ولطالما ألحَّ علينا لنرى قصره ومزارعه.

الدكتور: ذلك لطيبة قلبه؛ فإنها تأبى عليه إلا أن يشاركه أصدقاؤه في سعادته.

شعبان: ولكن هذا لا يصح أن يدعوه للترنم دائمًا بثروته.

الدكتور: لأن هذا قد يكدِّر من يكون بلا ثروة.

رمضان: إنه لا يكدِّر فقط، بل يؤلم جدًّا وهذه شيمة كل ذوي نعمة حديثة.

شعبان: نعم، ولو لم يكن صديقي لما كنت أكترث للأمر، ولكن الذي يكدرني هو أن يكون صديقي …

الدكتور: غنيًّا سعيدًا؟

رمضان: بل تحدُّثه بثروته وسعادته.

شعبان: وإنه يعلم أننا فقراء؛ ولذلك ليس من حسن الذوق أو الأدب ألا يدور حديثه معنا إلا على ثروته وعظمته.

الدكتور: ولكنه لا يتأخر مطلقًا عن إعطاء أصدقائه كل ما يطلبون.

شعبان: وهذا مؤلم أيضًا وينافي ما يقتضيه الذوق؛ لأنه دائمًا يعطي حتى بدون أن يُسأل!

الدكتور (متهكمًا)**:** صدقت!

رمضان: كما أنه يدل على فساد القلب وسوء النية.

الدكتور (متهكمًا)**:** بلا شك!

شعبان: ولا سيما إذا كان المرء فقيرًا فإنه ليس من المستحسن أن …

الدكتور: يُسدَى إليه معروف؟ بالطبع لا؛ لأن هذا يُعتبر حنانًا قاتلًا.

شعبان: لا لا، إنك لم تفهم قصدي.

الدكتور: بل أفهمه جيدًا جدًّا (إلى مرسي أفندي وقد دخل من الوسط) أسعد الله صباحك يا سيدي العزيز!

مرسي (بغضب)**:** أسعد الله صباحك!

الدكتور: لعلك استمتعت بنومك في هذا الهواء النقي.

مرسي (بغضب)**:** نومي؟! لم يغمض لي جفن قط! ولا لحظة!

رمضان: أخشى أن أقول إننا أيضًا لم ننم؛ لأن الفِراش في الريف غير ناعم ولا وثير.

مرسي (غاضبًا)**:** آه من السرير في الريف! إنه آلة التعذيب! وتالله لقد كانت ليلتي بالأمس ليلة مشهودة! فإننا عندما جلسنا في كشك الحديقة لتناول الشاي فإذا بالناموس وقد تناولنا لدغًا وعضًّا! فضلًا عن قذارة الفناجيل وما في السكَّر من النمل وقد نسجت العناكب خيامها على الزبدة والبسكوت (يهز كتفه اشمئزازًا) فهذه الحال تناسب من كان مشتغلًا بعلم الحشرات!

رمضان: ولكن كيف نمت؟

مرسي: عندما دخلت قالوا لي إنها غرفة النوم لم أجد إلى النوم سبيلًا، وبعد إجهاد ومحاولة ابتدأ النوم يعبث بأجفاني، وعندها ما أشعر إلا بشيء وقد زنَّ في أذني — ولعله نحلة — ثم استقر على طرف أنفي ولدغني لدغة أفاقتني فإذا بي وقد هشَّمت أنفي بكفي!

شعبان: وقتلتها بالطبع؟

مرسي: كلَّا يا سيدي لم أقتلها، بل أفضت الدم من منخري!

الجميع: هاهاها!

مرسي: وبعد أن أوقفت النزيف واسترحت قليلًا وابتدأ النعاس يداعبني فإذا بتلك الحشرة وقد عادت إليَّ، فانتفضت من فراشي مدة وفي يدي طاقية نومي ولا يستر جسمي إلا قميصي وسروالي فجعلت أجري في الغرفة نحو الساعتين وأنا كما وصفت أقتفي أثر الحشرة الملعونة من السرير إلى الشماعة ومن الشماعة إلى الدولاب ومن الدولاب إلى المنضدة ثم إلى السرير مرة أخرى … وهكذا إلى أن قبضت عليها وفقعتها!

شعبان: لقد خدمك التوفيق أخيرًا.

مرسي: التوفيق! أي توفيق يا سيدي وقد جرحت كفي وكسرت المرآة؟! وتالله إن هذه الليلة ستمنع عني سعود الحظ سبع سنين!

رمضان: إنما نمت بعد ذلك؟

مرسي: كلَّا يا سيدي فإني ما شرعت أستريح حتى أخذ كلب ينبح فسمعه كلب آخر فاستنسب أن يرد عليه، وهكذا جعل الكلبان ينبحان طول الليل وما إن أغمضت الطبيعة جفنيها طلبًا للراحة قبيل الفجر حتى ابتدأ كوكوكو يصيح مؤذنًا بطلوع النهار، فقمت من فراشي يائسًا!

رمضان: شيء مكدِّر جدًّا!

مرسي: جدًّا جدًّا! ولكن ما حيلتي وقد ألحَّ عليَّ حسن بك أن أزوره وأَبَتْ عليَّ مروءتي إلا أن أجيب دعوته (يتناول كرسيًّا فيجلس) وهو مسكين مثلي أفقه طيبة قلبه، آه فيا ليتني كنت أنانيًّا (صوت عيار ناري من الخارج).

حسن (في الخارج)**:** دَعْ هذا الحَمام بربك ففي الغيطان حمام بريٌّ كثير (يدخل من الوسط وهو يدق يدًا بيد) لعنة الله على هذه الحال! إنها تجعلني أكره الدنيا والحياة!

الجميع: ما الذي جرى؟

حسن: لا شيء غير أن صديقي الصاغ قد وجد في طيور الحديقة خصومًا له وأعداءً فهو دائمًا يطاردها ويصطادها؛ فأتلف المزروعات وأهلك الداجنات. والأدهى من ذلك كله أني لم أعرف اسمه!

الدكتور: ألم يقل لك اسمه بعد؟

حسن: كلَّا، وليس من الأدب بالمرة أن أسأله عن اسمه، وعندما أقول له يا عزيزي ... آه؟ فإنه لا ينطق باسمه قط! ومما زاد نكدي اليوم أن ثعلبًا خبيثًا انسلَّ إلى غرفة الدجاج الهندي وعاث فيها فسادًا.

مرسي: أسأل الله ألا يكون قد نسي الديوك!

حسن: لا لا يا مرسي أفندي؛ فإني لا أحب أن أسمع كلمة ضدها، ولكن من ذا الذي يكره أن يستقبل الصباح بصياح الديك؟!

مرسي (بازدراء)**:** مزاح ريفي ولا شك!

حسن (ضاحكًا ببساطة ونية سليمة)**:** هاها! ألم تستنشق نسمات الصبح في البستان؟ المكان جميل ويروقك جدًّا، ألا ترى ذلك يا شعبان أفندي؟!

شعبان (يقلب صفحات كتاب أمامه)**:** على العموم لا بأس، ولكن المناظر ليست كما يجب.

رمضان: والجهة رطبة.

حسن: رطبة؟!

مرسي: بالتأكيد ألا تشعر بالهواء؟! إنه مشبع بالرطوبة.

حسن: تالله إننا لم نعرف الرطوبة هنا من قبل!

شعبان: ولكنك ستشعر بها عندما يقيد الروماتزم يديك ورجليك.

حسن: الروماتزم!

رمضان: هذه هي حال كل المساكين المجاورة للماء.

مرسي: والموقع منخفض جدًّا.

شعبان: وهذا الانخفاض يسبب شرَّ أنواع الحميات.

حسن (مبهوتًا وهو شائع العينين من واحد لآخر)**:** والحميات أيضًا!

مرسي: وإني لأذكر أن صديقًا لي كان قد استأجر منزلًا على شاطئ النيل في هذه الجهة كما أظن، فأصيب المسكين بالحمَّى ولم يلبث قليلًا حتى مات ودفن.

حسن: يا حفيظ يا حفيظ! إنك تزعجني.

رمضان: والقصر غير مناسب.

شعبان: لأنه يليق لأمير.

مرسي: أو وزير خطير.

رمضان: أو على الأقل شخص ذي هِمَّة ووجاهة وحيثية.

شعبان: وحرام على المرء أن يخدع نفسه.

مرسي: وحسن بك رجل عاقل يفهم.

رمضان: وصديقنا أيضًا.

مرسي (إلى حسن بك في وجهه)**:** ولو لم أكن صديقك لما كلمتك بهذا الإخلاص.

شعبان: والصديق مكلَّف بأداء ما يقتضيه واجب الصداقة.

رمضان: واسمح لي يا حسن بك أن أقول لك بكل حرية إنك هنا موضع للعجب!

حسن (وقد غُصَّ بريقه)**:** أترى ذلك؟

شعبان: أنت بالطبع أدرى بنفسك.

مرسي: أمر بديهي فإن من يراه قد يظنه بوابًا!

رمضان: وهذا مظهر قبيح.

شعبان: ويجعل للناس مجالًا للتقولات.

مرسي: ولقد سمعت بعضهم يقول: «ما الذي عمله حسن بك في حياته ليستحق ما هو فيه من النعمة في حين أن كثيرين ممن هم أفضل منه لا يملكون شيئًا؟!»

رمضان: لا ذكاء ولا نبوغ! الناس معذورون بحكم الضرورة.

حسن (بجهد وألم)**:** بحكم الضرورة!

شعبان: ولا حزم ولا بصيرة.

مرسي: حتى يصل إلى هذه الثروة من طريق شريف.

حسن (مُحتدًّا)**:** طريق شريف! إني أقسم بحياتي!

شعبان: هذا ما يقوله الناس.

حسن (غاضبًا)**:** كذب وبهتان! محض اختلاق!

رمضان: ربما، ولكن هكذا يقول الناس.

حسن (بِحِدَّة وألم)**:** ناس! أي ناس! ألا لعنة الله على هذا كله! أشعر كأن الأرض تميد تحت قدميَّ وأكاد أسقط من الدوار!

مرسي: لقد أبدينا لك آراءنا بكل صراحة وإخلاص (يمدُّ له يده فيتناولها).

شعبان: وبطريقة أخوية محضة (يطلع مع مرسي).

رمضان: ولم نلجأ للمحاباة أو المجاملة لأننا أصدقاؤك ويهمنا شأنك (يخرج يمينًا).

حسن: شكرًا لكم (على حدة) ربما كان ذلك بدافع الصداقة، ولكني لا أحب هذا الأسلوب.

الدكتور (ينزل)**:** ليت فريدًا كان معنا لعلنا نسمع منه أيضًا رأيًا في الموضوع!

حسن: لقد خرج للنزهة مع زوجتي (يذهب إلى المنضدة ويكتب).

الدكتور: إذن يجب عليَّ أن أراه؛ لأني لم أَرَه هذا الصباح (يتناول طربوشه وعصاه).

مرسي (إلى شعبان)**:** إن هذا الدكتور خبيث ولا يعتقد في الصداقة.

الدكتور (ينزل إليهما وقد سمعهما ويحملق فيهما)**:** أصحيح هذا؟ وهل تعرفان الصداقة؟!

شعبان: ربما كنت أنا يا دكتور أصوب منك نظرًا في الأمور ومن رأيي أن الصداقة ليست طلسمًا مُعْجِزًا ولا سِرًّا لا يُدرك كنهه، بل شيء عادي محض.

الدكتور: بالطبع … وشائع أيضًا؛ فإن مجرد التعارف يعتبر صداقة. وهذه الصداقة يقاس معيارها بكيفية التحية؛ فإنه عندما يتقابل الصديقان ويظهر كل منهما بيد صديقه يتباريان في هزِّ الأيدي بعنف وشدة حتى ليكاد أحدهم أن ينزع ذراع صديقه من كتفه، بينما يكاد الآخر يوقع زميله على الأرض من شدة التحية! وبعد ذلك يتجلَّى الحقد والنميمة والحسد والتطفُّل، كل هذا يتجلَّى بدافع تلك الصداقة أيضًا، أليس كذلك؟ (شعبان أفندي ومرسي يهزان رأسيهما بامتعاض).

حسن: ما هذا يا دكتور؟ إنك لقاسٍ جدًّا، فليس كل الأصدقاء سواء!

الدكتور: حقًّا إنهم ليسوا سواء فمنهم من يُسخِّر أصدقاءه لخدمته، ومنهم من يتخذ من أصدقائه موضوع هزء وسخرية، ومنهم من يفضح عيوب أصدقائه أمام الناس، ومنهم من يضايق أصدقاءه بمسكنه، ومنهم من يتَّجر بأصدقائه، ومنهم من يستعير كتبك ولا يردها، ومن يسلبك زوجتك ويفسدها عليك … وغير هؤلاء كثير.

مرسي: ولكن الصديق المخلص …

شعبان (متممًا)**:** هو الذي يكرس حياته لأجل صديقه.

مرسي (بزهو)**:** ألم يقع نظرك قط على صديق كهذا؟!

الدكتور: أعرف اثنين كما وصفتما.

مرسي وشعبان (باستفهام مشوب بالسرور)**:** آه؟

الدكتور: إنهما ليسا هنا.

مرسي وشعبان (باستياء وكآبة)**:** أوه!

الدكتور: نعم، فقد عرفت صديقين بمعنى الصداقة الحقة التي أعرفها، فإنهما عندما كانا غلامين قذف أحدهما بنفسه إلى النيل مخاطرًا بحياته لينقذ حياة رفيقه، وعندما كانا رجلين حاربا جنبًا في فتح السودان، وبينما القتال محتدم وإذا بِحَرْبَة كادت تخترق صدر أحدهما فما كان من الآخر إلا أن ذكر في هذه اللحظة الهائلة أنه مدين بحياته لصديقه فرمى بنفسه على تلك الحربة المصوبة وتلقَّى بصدره طعنتها القاتلة؛ فَخَرَّ مضرجًا بدمائه الطاهرة. أما المسكين الذي قُتل فقد كان أبي أيها السادة! فكفلني مِن بعده صديقه الذي نجا. ولما كانت هذه الحادثة قد انطبعت على صفحات قلبي منذ طفولتي؛ فلذلك ترونني معذورًا إذا تطلبت الصداقة ما يُعد خارقًا للمألوف!

مرسي: ولكن في حياتنا العادية البسيطة — وأقصد حياتنا الواقعية — أظن أنه لا يمكن لأي إنسان أن يتلقى بصدره طعنة من حربة حتى لو حدَّثته نفسه بإتيان هذا العمل الجنوني!

شعبان (هازئًا)**:** أو يلقي نفسه إلى الماء لينقذ آخر، اللهم إلا إذا وقع في الماء رغم إرادته!

مرسي: هذا ما يسمونه تضحية النفس، ولكن في الواقع … (لا يدري ماذا يقول فيهز رأسه بامتعاض).

الدكتور: نعم نعم، إنكم لتشعرون بشدةِ وَقْعِ ما أقول، وحقًّا إن المعارف والزملاء ليسوا أصدقاء بالمعنى الذي يدل عليه معنى الصداقة السامي، فالصداقة الحقة أصبحت اسمًا على غير مسمًّى، فهي كالفروسية القديمة التي تُتلمس أخبارها في بطون التواريخ!

حسن: لا فُضَّ فوك يا دكتور، ولكني لا أرى بأسًا من أن يتغاضى المرء عن كثير.

مرسي: إنك بالطبع ما دمت تتكلم عن الدموع وتضحية النفس …

شعبان (مقاطعًا)**:** وأين تجد أصدقاء كما تصف؟

الدكتور (ينزل)**:** من يدري؟ ربما أجد صديقي حيث لا أتوقع وفيمن لا أنتظر، وقد أكون في غفلة عن شأني وعينه ترعاني بدون أن أدري وبدون أن يُعلِن عن نفسه، لا ابتغاء أجر ولا طمعًا في كلمة شكر؛ ولكن قيامًا بواجب الإخلاص النقي والصداقة المطهرة … أسعد الله صباحكم أيها السادة (ينحني ويخرج من الوسط).

شعبان: مُدَّعٍ ولا شك!

مرسي: نعم ولا قلب له، آه! كم أتمنى لو كنت أنانيًّا!

(يدخل الصاغ بيومي وهو يدخن سجارًا وينفخ الدخان في وجه حسن بك، وبيده رأس كرنبة يهزها.)

الصاغ: ما هذه؟ (يناولها إلى مرسي فيقلِّبها): هذا! (ويهز رأسه ويناولها إلى شعبان فيأخذها): هذا! (ويعطيها إلى الصاغ فيرمي بها إلى حسن بك).

حسن (يسعل): هذه … هذه … شيء مكدر للغاية … مكدر جدًّا …

الصاغ: بصفتك بحَّاثة في علم النبات قل لي ما هذه؟

حسن (بأسف وحيرة): هذه رأس كرنبة، والكرنب والكرنبيت يرجعان إلى أصل واحد.

الصاغ: ومن يكون صاحبها؟ لأني بينما كنت أتنزه في البستان مفكِّرًا مطمئنًا وإذا برأس الكرنبة هذه وقد لطمتني على أذني فأطارت صوابي، وتبع ذلك أعواد قذرة وأوراق شجر جافة وقشر خرشوف انهالت على رأسي كالمطر!

الجميع: أعواد قذرة؟ وممن؟

الصاغ: لست أدري ممن، ولكني عرفت من أين نزلت عليَّ.

حسن: نعم نعم، من حديقة جاري أسعد بك بلا ريب؛ فإنه لا يجاورنا غيره، وعنده بستاني لا يرعى حرمة الجوار.

الصاغ: لا تهمني مسألة الحرمة بقدر ما يهمني أني عرفت اسم جارك وهو المسئول أمامي شخصيًّا، وتالله لأؤدبنَّه أدبًا شديدًا! ولا أظنك تسكت قط عن هذه المسألة. أوَيرضيك أن يُضرب ضيوفك بما تُنبته حديقة جارك؟!

حسن (مرتبكًا حائرًا): … المسألة … قضاء وقدر بلا ريب …

الصاغ: ولكنه سَبَّكَ ولعنك وقال إنك نذل جبان، فهل هذا أيضًا بالقضاء والقدر؟

الجميع: نذل وجبان؟!

حسن: ولكنه لم يقصدني أنا بهذه الشتائم.

الصاغ: أما من هذه الوجهة فاطمئن جدًّا؛ لأني سألته قائلًا: أتعي ما تقول أيها الوقح؟ فأجابني بقوله: نعم أيها اللص المتشرد! وقد كلمته بالنيابة عنك بالطبع، فهل كلُّ هذا قضاء وقدر أيضًا؟

حسن: تالله إنه لحادث عادي بالمرة!

مرسي: وإنه لَغير عادي أيضًا أن تسكت عن هذه المسألة.

شعبان: لا لا، هذه المسألة لا يمكن أبدًا أن تنتهي على هذه الصورة.

حسن: إذن فسأرمي إليه برأس الكرنبة (يدخل خليل من الوسط مسرعًا).

خليل: سيدي البك سيدي البك! أظن أننا قد عرفنا مخبأه أخيرًا.

حسن: مخبأ الثعلب؟ حسن جدًّا ها أنا آتٍ حالًا، اسمحوا لي برهة يا سادة ريثما أمزق لحمه وأعود (يخرج مسرعًا).

الصاغ: هذا واجب عليه أؤيده فيه كل التأييد، ولا إخالكما إلا فاعلين مثلي يا سيديَّ!

شعبان: بكل تأكيد!

مرسي: إننا لا نتخلى عن صديق لنا.

الصاغ: ويجب أن نجعل جاره يعتذر اعتذارًا صريحًا واضحًا عن تلك الإهانة.

شعبان: وعن رأس الكرنبة أيضًا.

مرسي: إنما ماذا تكون الحال إذا رفض الاعتذار؟

الصاغ: إذا رفض الاعتذار؟ فليجرأ على الرفض! ألا تريان أن الإهانة كبرى وأنها موجهة ضد الشرف مباشرة؟ وكل الإهانات الموجهة ضد الشرف لا يغسلها إلا الدم، فإذا رفض الاعتذار فإننا ندعوه إلى مبارزة حسن بك في الحال. هذا رأيي بصفتي رجلًا عسكريًّا متقاعدًا، فماذا تقولان؟

شعبان: حقًّا إنها إهانة كبرى ولا يغسلها إلا الدم، ونحن موافقان على رأيك.

الصاغ: إذن هلموا بنا نقوم بواجب الصداقة نحو حسن بك (يظهر الدكتور في الخارج ثم يختفي في الخارج أيضًا بجوار الباب المؤدي إلى الحديقة للمراقبة).

مرسي: اذهب معه يا شعبان أفندي ولا تتردد إنما أوصيك بالحزم!

شعبان: نعم، وسنعلِّم ذلك اللعين كيف يهين صديقًا لنا (يخرج مع الصاغ).

مرسي: لولا حدة طباعي وأني لا أستطيع أن أملك زمام غضبي إذا أُهين صديق لي لكنت خرجت معهما (يجلس على المنضدة يقلب الأوراق).

الدكتور (يدخل وينزل متمهلًا على حدة): ما الخبر يا تُرى؟

مرسي (يراه ويقول لنفسه): صاحبنا الفيلسوف. (له) فليقل غيري ما يشاء إنما لِحُسن حظ حسن بك أني هنا معه لأني أدافع عن شرف صديقي، ولو أنني لا أتلقى طعنة حربة بصدري ولا ألقي بنفسي إلى النيل.

الدكتور: وهذا لما يزيد الأسف!

مرسي: سيدي! إني ... آه! رجل لا قلب! كم أتمنى لو كنت أنانيًّا (يخرج من اليمين).

الدكتور: أمكيدة أخرى بدافع الصداقة أيضًا؟ ولكن ما أقرب هزيمتهم وما أسهلها (صوت فريد يغني من الخارج وصوته يقترب بالتدريج) ذلك هو الخصم العنيد.

فريد (يدخل):

خذ بيدي فقد ذبت اصطبارا وفي قلبي أثارَ الوجد نارا
وما وعدت فأحيا بالتأسي كأن لم تتقي فيَّ البوارا
حياة المرء آمال ترجَّى فنحن لما نؤمِّله أسارى

الدكتور: أتعرف يا فريد ماذا يجب عليك الآن فعله؟

فريد: ماذا؟

الدكتور: يجب أن ترحل عن هذا البيت في الحال.

فريد: أرحل في الحال!

الدكتور: نعم إلى العاصمة، وقطار الإكسبريس سيقوم بعد ساعة.

فريد: أراك تتعجل في ترحيلي من بيت ابن عمي!

الدكتور: صحتك في أشد الحاجة إلى تبديل هواء هذا البيت.

فريد: صحتي؟!

الدكتور: نعم، صحتك النفسانية إن لم تكن صحتك الجسمانية. وإني ما زلت أقدِّرك كصديق حتى لأتمنى لو كنت مريضًا حقيقة وأن أقف بجانب فراش موتك عن أن أراك تَنْصِب حبالتك لإيقاع زوجة من هو ابن عمك وصديقك وولي نعمتك ومن أنت مدين له بحياتك وشرفك.

فريد (متأثرًا)**:** سيدي!

الدكتور: هيا هيا يا فريد اتبع نصحي واعمل به؛ فإن في فؤادك بذور مرض خبيث وداء قتَّال فأسرع باستئصال الداء قبل استفحاله، والرجل الشريف يلبي خالص النصح.

فريد (متأثرًا)**:** ما أسهل إسداء النصيحة! إنك لا تعرف آلام القلوب.

الدكتور: إني لأعرف كل شيء وأعرف أنك فتًى في الخامسة والعشرين من عمرك خالٍ من كل ما يلهيك وفي حاجة إلى حادث كبير يملأ فراغ وقتك ويُشبع مطامعك، هذا هو كل ما في الأمر وليس هنالك ما هو أكثر من ذلك.

فريد: كلَّا، وأصرِّح لك بأن ما أشعر به وقد ملأ كل ناحية من قلبي ونفسي ليس إلا الحب، الحب الخالص ولا شيء سواه.

الدكتور: يا للهول! الحب! بل قل السفالة، قل النذالة، قل الوحشية! إن لها زوجًا يا رجل وهذا الزوج صديقك وابن عمك!

فريد: بل عدوِّي ومزاحمي! وليكن ما يكون!

الدكتور (مقاطعًا)**:** وبعد هذا لا ترحل؟

فريد: أبدًا فَبُحْ بسري إن استطعت (يخرج من الوسط إلى الشمال).

الدكتور: أبوح بسره! كلَّا وإني لأكثر من ذلك حكمة وَأَسَدُّ رأيًا، بل أنقذه رغمًا عنه (يفكر) لقد اكتشفت الداء فماذا عسى أن يكون الدواء؟ (تظهر أمينة هانم في الباب اليمين تنظر فيلمحها خلسة ويقول لنفسه) ها هي منبع الداء ومستودع الدواء.

أمينة: دكتور! دكتور!

الدكتور (يلتفت إليها)**:** عفوًا يا هانم فإني لم أرك إذ كنت منهمكًا في الكتابة.

أمينة: تذكرة طبية؟

الدكتور: نعم يا سيدتي.

أمينة: لعزيزي … (مستدركة) لفريد أفندي؟

الدكتور: نعم يا هانم لفريد أفندي.

أمينة: لقد تقدمت صحته كثيرًا أليس كذلك؟

الدكتور: هذا ما يلوح عليه.

أمينة: إذن فقد زال الخطر؟

الدكتور: أُراني ... أظن ... على كل حال يظهر أن ...

أمينة: أراك مرتابًا!

الدكتور: كلَّا، ولكني أفكر بدقة وعناية واهتمام بشأن عظيم وأظن أنه لو اتبع ما في هذه التذكرة ...

أمينة (تأخذها منه بلهف)**:** نعم يا دكتور؟

الدكتور: فإننا نحصل على نتيجة باهرة، ولكنه لسوء الحظ شاب في ريعان الصِّبا وبلا أم أو أخت فهو مرغم على أن يعيش وحيدًا ولكن إذا أسعده الحظ وأقام تحت كنفك وفي رعايتك مدة كافية واستمتع بما هنا من الدعة والطمأنينة وحياة السكون والراحة!

أمينة: إننا لا نسمح له بمفارقتنا حتى يشفى تمامًا.

الدكتور: أؤكد لك يا سيدتي أنك بقولك هذا قد رفعت عن عاتقي عبئًا ثقيلًا؛ لأني كلما أفكر في أن هذا الشاب المسكين سيعود إلى العاصمة ويعيش عيشة الشبان أمثاله يخفق قلبي إشفاقًا عليه، وعندما أفكِّر في أنه ربما يستهدف لعاطفة قاتلة تصطك ركبتاي من الفزع.

أمينة (برعب)**:** عاطفة قاتلة؟!

الدكتور: نعم يا سيدتي، وأقول لك فيما بيننا وأوصيك بالكتمان إن أشد ما أخافه عليه هو ... (يلتفت حوله).

أمينة (خائفة وجلة)**:** هو ... ماذا؟

الدكتور (متصنعًا الحذر)**:** اضطراب الفكر وحمَّى الأرواح؛ ذلك الذي يسمونه الحب.

أمينة: الحب؟!

الدكتور: نعم يا هانم؛ فإن الحب في حالته الحاضرة (يهز رأسه يائسًا) آه!

أمينة: في حالته الحاضرة! إنك تفزعني يا دكتور! إذن فما حالته؟

الدكتور: قلبه يا سيدتي، قلبه عليل سقيم.

أمينة: هذا مخيف!

الدكتور: وهذه الحالة مرتبطة بالحياة أشد ارتباط، ولكن لا تخافي فقد يعمِّر طويلًا إلى الستين أو الثمانين، ومن يدري فقد يصل إلى المائة!

أمينة: ليته يعيش مائة سنة!

الدكتور: هذا تحت شرط أن يتجنَّب كل ما من شأنه إثارة العواطف كالمجاهرة بالحب مثلًا، وتالله إن الدماء لتجمد في عروقي عندما أفكر في ذلك، وإذا لفَّ ذراعه حول عنق فتاة أو استعطفها بحرارة وَجْدٍ فإنه يتعرض لخطر عظيم، أما إذا ركع على ركبتيه فإني ضعيف الأمل في أنه يستطيع النهوض.

أمينة: هذا مزعج مخيف!

الدكتور: وا أسفاه يا سيدتي! فإن لكل منا تكوينًا عجيبًا خاصًّا به، فسبحان الخلَّاق العظيم!

أمينة: إذن فالمسكين عرضة لخطر داهم؛ لأن الحب يأتي عفوًا، والميل الاختياري شيء والانعطاف القهري شيء آخر، والممنوع مرغوب فيه كما تعلم وربما كان تحريم الحب عليه سببًا لتعلقه بالحب.

الدكتور: لا أخفي عليك يا سيدتي أن ثقتي فيه ضعيفة؛ ولهذا السبب أتركه في رعايتك فتكونين له صديقة أو أختًا.

أمينة: ولكن يا دكتور …

الدكتور: كفى يا سيدتي فقد اقتنعت تمامًا وأستأذنك في الانصراف (يخرج من الوسط).

أمينة (وحدها)**:** يا لتعاسة هذا الشاب! جميل وظريف ومهذب ولكنه غير سعيد (تلمح فريدًا مقبلًا) ها هو قد أتى فكيف أحذره مما يتهدده من الخطر (يدخل فريد فتتشاغل أمينة بما على المنضدة من الورق وظهرها إلى الباب).

فريد (على حِدَة)**:** راقبته حتى انصرف فماذا عساه يكون قد قال لها؟

أمينة (لنفسها)**:** يا له من نفس! (تلتفت إليه) ها قد أتيت أخيرًا يا كسول!

فريد (على حِدَة)**:** لم يقل لها شيئًا. (لها) ظننتك في الحديقة فبحثت عنك هناك.

أمينة: وأنا كنت هنا مع الدكتور.

فريد (يجعل المنضدة بينه وبينها ويواجهها)**:** ماذا قال لك بشأني؟

أمينة: أمرني بتمريضك ومراقبتك مراقبة دقيقة شديدة.

فريد (على حِدَة)**:** لا ريب أنه لم يقل لها شيئًا.

أمينة: وعلى ذلك (تجلس في اليمين) لا يجوز لك مطلقًا أن تغادرنا حتى تصدر إليك أوامري.

فريد: إذن لا يجوز لي السفر حتى ولو أردت؟

أمينة: نعم، وثانيًا لا يجوز لك مطلقًا أن تبرح هذا البيت.

فريد (مندهشًا)**:** وهل هذه هي أوامر الطبيب؟

أمينة: أوامره كما هي، فلا تتنزَّه إلا معي ولا تتحدث إلا معي ولا تطالع إلا معي، وبالاختصار فإني لا أفارقك قط.

فريد: تالله إن هذا الطبيب لنابغة الأطباء؛ لأن هذا العلاج سيعيد إليَّ الحياة ولو كنت ميتًا (يقبِّل يدها).

أمينة (تخطف يدها بسرعة … على حِدَة)**:** يا لله! لقد ابتدأ يتهيج.

فريد: ويجب عليَّ أن أقدِّم إليه مزيد شكري الخارج من أعماق قلبي (يقف ويدفع الكرسي إلى الخلف).

أمينة (على حِدَة)**:** أعماق قلبه، أدهى وأَمَر! هدئ روعك يا فريد!

فريد (مندهشًا)**:** عفوًا!

أمينة (بقلق)**:** لا تهيِّج عواطفك؛ لأن هذا محرَّم عليك تحريمًا باتًّا.

فريد: وكيف الوسيلة يا سيدتي وبين جنبي قلب يتجاذبه عاملان؛ عامل الحب وآخر من الوَجَل؟!

أمينة (على حدة مضطربة)**:** يا لله!

فريد: وقد استقر في سويدائه حب …

أمينة (مقاطعة مضطربة)**:** حب؟!

فريد: نعم حبٌّ سرى في دمي وملك عليَّ نفسي.

أمينة (لنفسها مضطربة)**:** إن هذا سيكلفه حياته. (له) كفى كفى يا فريد فقد خالفت أوامر الطبيب، فاحذر وإلا فإنك تنتكس لا محالة!

فريد: حبذا الموت في سبيلك؛ فإني أحبك يا أمينة (متأثرًا) أحبك بحرارة وجنون (منفعلًا).

أمينة: وجنون (تبتعد خطوة) يظهر ذلك!

فريد (يقترب منها)**:** فاستمعي لي!

(يمسك يدها ويركع مستعطفًا، فتصرخ مستغيثةً، فيدخل مرسي أفندي من الوسط ومعه ولده فؤاد ويحملق في أمينة وفريد وقد وضع يده على عيني ولده حتى لا يرى هذا المشهد وهو واقف عند الباب بشكل مضحك متظاهرًا بالتأوب، فتجري أمينة مسرعةً صارخةً من اليمين، وتنزل الستار بسرعة.)

الفصل الثالث

(المنظر: غرفة ذات أثاث ورياش في منزل حسن بك رضوان. في الخلف باب يؤدي إلى بلكون مشرف على الحديقة، باب في الشمال يؤدي إلى الحديقة، بابان في اليمين يؤديان إلى داخل المنزل وثانيهما مغلق، مكتبة في اليمين وأخرى في الشمال، كراسي منثورة، منضدة في الوسط إلى اليمين باب البلكون حبل جرس مدلًّى، نافذة في الشمال.)

(ترفع الستار عن حسن بك داخلًا من الشمال وخلفه خليل.)

حسن (متكدرًا)**:** أكل الدجاج! إنه ليس بثعلب إذن بل وحش أو تنين هائج!

خليل: لم يبقَ يا سيدي إلا دجاجة واحدة أفلتت لطول عمرها.

حسن: وفي رابعة النهار أيضًا! هذا مريع ومخيف!

خليل: وبماذا تأمر الآن يا سيدي؟

حسن: لقد سئمت الحبائل والشراك لأني فشلت فيها، فانصب حواجز لدى كل ثغرة أو باب في سور الحديقة واحفر كثيرًا من الحفر وغطِّها بالأعشاب عسى أن يقع اللعين في إحداها.

خليل: أمرك يا سيدي (يخرج شمالًا).

حسن: آه لو يقع اللعين في قبضتي! تالله لكنت … (يدخل شعبان ورمضان أفندي) أهلًا وسهلًا.

شعبان: لقد أخبروني أنك تريد أن تكلمني في هذه الغرفة.

حسن: نعم، والمسألة خدمة بسيطة أحب أن …

شعبان (مقاطعًا)**:** تعملها لي؟

حسن: لا بالعكس، فإني أحب أن تخدمني خدمة صغيرة. ولكن ما لك قد تغيرت؟

شعبان: كأنك تعني أنك دائمًا تولينا أفضالك وأننا نتقبَّل منك هذه الأفضال وأنك …

حسن: لا لا، فإني لا أعني شيئًا من هذا القبيل.

رمضان: أو أننا ننتهز فرصة كرم أخلاقك لإرهاقك …

حسن: لا لا، فإني لم أقل ذلك.

شعبان: نعم إنك لم تقل ذلك بنصه، ولكن …

رمضان: يُستدلُّ من وجهك أنك تعنيه.

حسن: بالله! ما بكما؟ فهل لم أخدمكما قط؟

شعبان: وهل أنكرنا فضلك حتى تذكِّرنا به؟

حسن: ما هذا أيها الصديقان؟ وعلام تتحدثان؟ كأني بكما تريدان خلق سبب لمشاحنتي.

رمضان: بل أنت يا بك الذي تريد مشاحنتنا.

حسن: أبدًا أبدًا والمسألة في غاية البساطة، فهل تحبان أن تولياني فضلًا؟

شعبان: بالطبع ولم لا؟!

رمضان: إنك تعرف أن الواجب يقضي علينا بذلك.

حسن: هذه لهجة قاسية كما أظن، ولكن لعلها طريقتكما في التعبير.

شعبان: وما هي المسألة؟

حسن: المسألة أن لي شابًّا أحبه كما لو كان ولدي، وأرغب في أن تجد له وظيفة.

شعبان (يجلس على كرسي ذي جنبين)**:** وما الذي دعاك لأن تلجأ في ذلك إليَّ؟

حسن: دعاني كونك رئيسًا في مصلحتك وأن الشاب الذي أقدمه إليك ذكيٌّ حقيقة وحاصل على الشهادات اللازمة، وإذا قلت لك اسمه …

شعبان (مقاطعًا بسرعة)**:** لا، لا أحب أن أعرف اسمه!

رمضان: لأن هذا يزيد في أسف أخي لاضطراره إلى الرفض.

حسن: الرفض!

شعبان: يا صديقي العزيز المسألة مسألة مبدأ، وأنا شديد التمسك بمبدئي.

رمضان: فضلًا عن أنها مسألة اجتماعية لها نتائج كبرى.

حسن: طريقة طيبة للتخلص من الموضوع، ولكن لماذا لا تعمل شيئًا خاصًّا لأجلي؟

شعبان: لأني صديقك؟

رمضان: بلا شك، واسمح لي أن أقول إن هذا الطلب غير شريف.

حسن: تالله ما كنت لأعرف أن …

شعبان (مقاطعًا)**:** إنك تريد أن يتقدَّم فتاك عن غيره من المرشحين بواسطة الأيدي الخفية والمحاولات.

رمضان: ويحتمل جدًّا أن يكونوا خيرًا منه.

شعبان: وتريد أن تجعلني شريكك في هذا العمل، واسمح لي أن أقول إنك تريد أن تجعلني شريكًا في هذه المؤامرة!

رمضان: مؤامرة بلا نزاع، لا أكثر ولا أقل.

حسن (غاضبًا)**:** بل خير من ذلك أن تقولا الرشوة وشراء الذمم والتلفيق والتدليس وأني محتال ونصاب وغشاش!

شعبان (يطلع ويجلس على الكنبة)**:** لا لا، فإننا لا نقول ذلك.

حسن: هذا لحسن الحظ (وقد غلبته سلامة نيته) ولكني على كل حال لا أظن هذا كله إلا من قبيل المزاح؛ لأني لو كنت أجبتكما بمثل هذه الأجوبة كلها ما سألتماني شيئًا …

شعبان: آه! رجعنا إلى النغمة القديمة والْمَنِّ.

حسن: لا لا، ولكني أريد أن أقول …

رمضان: تالله لو كنا نعرف أن قبولنا لأفضالك …

شعبان (متممًا)**:** يجعلنا نبيع ضميرينا …

حسن (مقاطعًا محتدًّا)**:** ضميريكما! ألا لعنة الله على هذين الضميرين! إن هذا ليزيد عن الحد بكثير! أي شيطان رجيم وسوس إليكما أني في حاجة إلى ضميريكما؟ احتفظا بهما! ضميريكما! ماذا الذي استفدته من هذين الضميرين خلال ثلاثين سنة مضت؟!

(يدخل الصاغ حاملًا علبة بها مسدسان وخلفه مرسي أفندي والشيخ خورشد.)

الصاغ: تفضل يا عزيزي البك (يقدم له علبة المسدسين).

حسن (ينظر فيها)**:** ما هذا؟

مرسي: علبة المسدسين.

الصاغ: لتأخذ روح جارك!

شعبان: بطل موقعة الكرنبة.

مرسي: وقد عملنا الترتيب اللازم لندعو جارك أسعد بك لمبارزتك.

حسن (مندهشًا مبهوتًا)**:** مبارزتي! ماذا؟ أنا أبارز؟ في أي بلد نحن وفي أي عصر؟ وكيف تظنون أني …

الصاغ (مقاطعًا)**:** لا لا، نحن لا نظن شيئًا قط، وليس لك مجال لأن تقول كلمة؛ لأن الأمر يعنينا أكثر مما يعنيك. اجلسوا يا سادة (يجلسون).

خورشد (يقف)**:** إنما أرجو أن تسمحوا لي بكلمة في الموضوع لأن حسن بك له عليَّ أفضال كثيرة، ويهمني جدًّا ما دمتم قد أخبرتموني بالمسألة كلها أن ينتهي الأمر فيها بحل يرضي الجميع.

حسن (يحاول القيام فيجلسونه بالقوة)**:** أنا أشكرك جدًّا يا شيخ خورشد (يمد يده).

الصاغ: اطمئن واترك المسألة لأصدقائك.

مرسي: إننا لا نمانع حلًّا يكون فيه إرضاء لضمائرنا بالنسبة للإهانات التي وجهها أسعد بك لصديقنا هذا (مشيرًا إلى حسن بك).

حسن (محاولًا النهوض)**:** أظن أنه ليس ضروريًّا أن …

الصاغ ومرسي وشعبان (يمنعونه عن النهوض)**:** اسكت. (إلى الشيخ خورشد) نعم؟

خورشد: أسعد بك يا سادة في ساعة غيظ وغضب مال إلى الهوى أكثر من ميله إلى الحكمة وأخرج من بين شفتيه كلمة «جبان».

رمضان: هل لنا أن نفهم من ذلك أنك موافق على هذه الكلمة؟

خورشد: نعم.

مرسي: هذا قبيح جدًّا!

شعبان والصاغ: لَآيةٌ في القبح!

حسن (يقف)**:** إني لا أرى …

الصاغ (يجلسه)**:** قلنا لك اترك المسألة لأصدقائك!

رمضان (إلى الشيخ خورشد)**:** إذا كنت تهزأ بعواطفنا وإحساسنا فخير لك أن تجلس!

خورشد: كلَّا يا سادة، وإن كلمة «جبان» كثيرًا ما استعملت في مواقف مضحكة!

الجميع (باستغراب)**:** مضحكة؟!

خورشد: نعم، وهي الصفة التي يصح أن …

مرسي: إنها صفة لا تصح مطلقًا.

خورشد: إذن اسمحوا لي بالتفسير!

شعبان: إنك لتسيء التفسير وتشوِّه معنى الكلمة.

حسن: أنا أرجوك التفسير (يحاول النهوض فيسحبونه ناحية).

مرسي والصاغ وشعبان: قلنا لك اترك الأمر لأصدقائك! لا تتدخل!

خورشد: كلمة جبان يا سادة تدل على شخص ضعيف القلب، وهذا الصنف فطري ولا حيلة لصاحبه فيه، وهي من هذه الوجهة تعتبر تقرير حقيقة لا إهانة مقصودة، ويقولون في اللغة: فلان جبان الكلب؛ أي كريم لأن كلبه لا ينبح عندما يرى ضيفًا، فهي في هذه الوجهة مدح لا ذم!

الجميع: تفسير مدهش!

حسن (يفلت من أيديهم ويسرع إلى الشيخ خورشد ويصافحه)**:** ممنون جدًّا يا شيخ خورشد؛ لأنه لم يبقَ مجال لكلمة في الموضوع.

الصاغ (يدفع حسن بك إلى مرسي)**:** لقد صدق حسن بك؛ لأنه لم يبقَ مجال لكلمة في الموضوع ما دمنا لا نقبل مثل هذا التفسير.

حسن: آه!

مرسي (يدفع حسن بك إلى شعبان)**:** نحن نصمم على طلب الاعتذار وإلا فالمبارزة!

حسن: ولكني لا أريد اعتذارًا ولا أطلب اعتذارًا!

الصاغ: أسمعتم يا سادة؟ إن زعيمنا وصاحب الحق فينا يرفض قبول الاعتذار!

شعبان: ولو أن هذا يسوءنا جدًّا إلا أننا لا نرى مفرًّا من إعداد معدات المبارزة.

رمضان: وله أن يختار نوع السلاح الذي يرتضيه.

الصاغ (إلى حسن بك)**:** ليس أفضل من المسدسات! اسمع كلامي.

حسن: لا لا.

الصاغ: كما تريد، هل تفضل السيوف؟

مرسي: وتكون المبارزة باكرًا صباحًا.

حسن: لا لا، أبدًا!

مرسي: صديقنا أيها سادة يريد أن تكون المبارزة في الحال.

الصاغ: لأنه لا يغسل الإهانة إلا نقط من الدماء.

حسن: لا لا!

الصاغ (إلى حسن بك)**:** هل فهمتم قصده أيها السادة؟ إنه راضٍ بنقط من الدماء؛ إذن فستكون المبارزة عنيفة هائلة!

حسن: كلمة واحدة أقولها في الموضوع وهي آخر وأول ما أقوله؛ وهي أني لا أقاتل مطلقًا!

الجميع (باندهاش)**:** لا تقاتل؟!

حسن: بالطبع لا أقاتل، وكيف أبارز مبارزة مميتة لأجل رأس كرنبة؟!

مرسي: اسكت يا عزيزي لئلَّا يسمعك أحد.

الصاغ: هل تريد أن تُلحق العار بأصدقائك؟

شعبان: وتجعلنا أضحوكة بين الناس؟

رمضان: إذا كنتَ شخصيًّا لا تخجل فلا تُلحق الفضيحة بنا!

مرسي: هذا جبن حقيقة.

الصاغ: وسفالة! هل تراني أرتعش؟

شعبان: جبان ولا شك!

حسن (بإجهاد متضايقًا)**:** جبان! ما دمتم تريدون أن أقاتل فها أنا مستعد، وسأقاتل كل إنسان؛ أسعد بك أولًا وبعده أنتم واحدًا بعد واحد! هيا بنا فقد غَلَتْ دمائي في عروقي وما عدت لأطيق على هذا صبرًا.

الصاغ: هكذا الشهامة! هيا بنا.

(يدخل الدكتور من الباب الأعلى اليمين.)

حسن: نعم هيا بنا!

الدكتور: عفوًا يا سادة ربما تحتاجون في أمركم إلى طبيب جرَّاح، وها أنا في خدمتكم!

حسن: نعم هلمَّ معنا يا دكتور، أسرع!

الدكتور: إنما أرجو أن تمهلوني لحظة واحدة حتى أعدَّ حقيبتي!

مرسي: حقيبة الأسلحة والمشارط؟

الدكتور: لا لا، بل حقيبة ملابسي، أوَلسنا مسافرين إلى بلجيكا؟

الجميع: بلجيكا؟!

الدكتور: أنسيتم يا سادة أنكم هنا في مصر وأن القانون المصري لا يبيح المبارزة، ويعتبرها قتلًا معاقب عليه بالإعدام، والشهود يحكم عليهم بالأشغال الشاقة؟!

الجميع: الأشغال الشاقة؟!

حسن: هذا لا يهم، لقد دعوتموني جبانًا، وها أنا لست جبانًا ولا يهمني الموت ولا الأشغال الشاقة!

الدكتور: أرجو أن تخفض صوتك حتى لا يسمعك أحد؛ لأن هذا يعتبر شروعًا في قتل وهذه جريمة يعاقب عليها القانون بالحبس.

الجميع: الحبس؟!

حسن: لا لا، لا يهمني، لقد أُهنت كثيرًا وسمعت كثيرًا فلا أبالي مطلقًا.

مرسي: على كل حال لا أظن أن هناك ما يدعو إلى هذا كله يا عزيزي حسن بك!

شعبان: كما أنه لا يصح أن تخاطر بحياتك إلى هذا الحد.

حسن: أقول مرة أخرى إني مستعد!

رمضان: المسألة أبسط من البساطة.

خورشد: وإنك يا بك رجل رب أسرة.

الصاغ: أتريد أن تتقهقر؟

مرسي: إنه ليس مثلك متعطشًا إلى الدماء.

حسن: إذن لا تريدون أن أقاتل؟

الجميع: لا لا، أبدًا.

خورشد (يصافح حسن بك)**:** أنا أهنئك من صميم قلبي يا حسن بك!

حسن: متشكر جدًّا يا شيخ خورشد (يخرج الشيخ خورشد).

الدكتور: عن إذنك يا حسن بك؛ لأني أريد أن أرى فريدًا (يخرج من اليمين).

الصاغ: جبناء (يتناول علبة المسدسين ويخرج بهما من الشمال).

شعبان: إننا نهنئك من صميم قلوبنا يا حسن بك!

مرسي: لقد أخرجناك من هذه الورطة على أحسن ما يكون.

حسن: الحمد لله على كل حال، لقد كنت كالمجرم المحكوم عليه بالإعدام ثم أُطلق سراحه حتى لقد اشتقت لأن أرى زوجتي ... (مرسي وشعبان يتبادلان النظرات ... إلى مرسي) ماذا تقول؟

مرسي: أنا؟ أنا لم أقل شيئًا.

حسن: إذن تفضلوا إلى الحديقة لو شئتم.

مرسي: لا لا، قد يحتمل أن يكونا هناك فنفاجئهما.

حسن: تفاجئونهما؟ من هما؟

شعبان: دعك منه يا عزيزي، نسأل الله الستر والسلامة! هلموا بنا على شاطئ النيل.

حسن: الستر والسلامة! بل قفوا هنا لأن هذه النظرات المريبة وهذه العبارات الغامضة قد أثارت غضبي.

رمضان: إذا كنت لا تملك زمام نفسك فإننا لا نستطيع ...

حسن: ها أنا متغلب على عواطفي فأوضحوا ما في أنفسكم لأني مُصِرٌّ على معرفته.

مرسي: ما دمت مُصِرًّا فاسأل شعبان أفندي!

شعبان: الموضوع مؤلم فقل أنت يا مرسي أفندي.

مرسي: آه! ليتني كنت أنانيًّا! ولكن الصداقة تُحتِّم على المرء أن يضحي عواطفه.

رمضان: حبذا لو اتصلت بك المسألة من غيرنا.

حسن (بعزم وإصرار)**:** هل تريدون أن تقولوا أم لا؟

شعبان: لا شك أنه يؤلمك جدًّا أن تسمع …

حسن: أن أسمع ماذا؟

مرسي: أن الهانم حرمك وفريد أفندي.

حسن: ماذا؟

مرسي: بينهما علاقة أكثر مما يلزم …

حسن (غاضبًا محتدًّا)**:** زوجتي وفريد! كيف اجترأتم على هذا القول؟!

رمضان: الصداقة تُجَرِّئ على كل شيء.

حسن (بغضب شديد)**:** الصداقة! كيف اجترأتم على إهانتي في عرضي! ماذا؟! هل انتهى بنا الأمر إلى هذا الحد لدرجة أن من يدَّعون أنهم أصدقائي يقولون في وجهي وفي منزلي إن زوجتي … زوجتي التي أحبها من كل جوارحي … آه! لقد طعنتموني في قلبي طعنة نجلاء!

مرسي: الموضوع مؤلم حقيقة ولكن لا أستطيع أن أتجاهل ما رأيته بعيني.

حسن (مختنقًا)**:** وماذا رأيت؟

مرسي: رأيت (متمهلًا ببرود) رأيتهما يتناجيان. وماذا أيضًا يا شعبان أفندي؟

حسن (تائهًا)**:** يتناجيان؟

شعبان: إني في الحقيقة …

حسن: هل أبت عليكم الصداقة إلَّا أن تلوثوا أحب وأطهر ما لديَّ في الدنيا؟! إذن فماذا يفعل البغض وماذا تفعل الكراهية؟!

مرسي: ولكن إذا …

حسن: إذا ماذا! قل يا سيدي قل ما عندك! أتريد أن تقول ماذا تكون الحال إذا كان الأمر صحيحًا؟ كان يجب أن تَدعوني في ظلمة جهلي لا أن تلقوا بي في أتون من النار.

مرسي: لقد قمنا بواجبنا وانتهى الأمر، فلا داعي لإطالة المناقشة فيه.

حسن: انتهى الأمر! كلَّا كلَّا! بل يجب أن تطول فيه المناقشة! أتظنون أني أرضى بترك زوجتي ترزح تحت نِير هذه الشبهة المنكرة؟ أو أنني أدع شرفي وشرف زوجتي وشرف ابن عمي تحت رحمة هذه الصداقة؟ كلَّا كلَّا! لقد علمتموني أن الطهر لا يكون طهرًا حتى يقوم عليه الدليل، ولا بد من إقامة هذا الدليل اليوم بل الآن في هذه الساعة، ولو أني لست أدري الوسيلة إنما يجب إقامة البينة (يختنق صوته ويقع على مقعد خائرًا).

مرسي: يا صديقي العزيز إنه ليسرنا جدًّا أن يتضح لنا خطؤنا، فاعمل بنصيحتي كما عمل صديق لي من قبل في ظروف كهذه تمامًا، فإنه ادَّعى أنه مسافر وأنه لا يعود إلا في اليوم التالي، وخرج من منزله ثم عاد فجأة في نفس اليوم وفتح الباب بمفتاح كان في جيبه وانسلَّ داخلًا بخفة دون أن يشعر به أحد، وعندما فتحتُ غرفة النوم رأيتُ …

شعبان: أنت؟!

مرسي: لا لا، بل صديقي فإنه رأى … بالاختصار اقتنع تمامًا.

حسن: وتريدني أن ألجأ إلى هذه الحيلة القذرة؟ وكيف أستطيع أن أرى وجهها بعد ذلك؟ وكيف أقول لها إني مرتاب في أمانتها؟ تالله إن الكلمات لتخنقني خنقًا!

شعبان: لا لا، ويكفي أنك تعتذر بأنك لم تدرك القطار.

رمضان: أو نسيت منديلك أو كيس نقودك.

حسن: أو أية أكذوبة أخرى.

مرسي: أكذوبة؟ نحن إنما نريد أن نتأكد الخبر.

شعبان: وتكشف الحقيقة بنفسك.

حسن (محتدًّا): الحقيقة! أية حقيقة؟!

مرسي: يظهر أنك غير مصدق.

حسن: مصدق! تالله لا أدري ماذا أصدق ومن أصدق؟ فقد كدت أخبل بينكم ولا ريب عندي أنكم كاذبون! أتخدعني امرأتي؟ ولماذا؟ إني أحبها بل أكاد أعبدها، ولم يشغلني في حياتي إلا البحث وراء ما يسعدها ويسرها! ثم ها أنتم تقولون إنها تخونني؟ ومع من؟ مع فريد ابن عمي بل ابن دمي ولحمي؟! يا للهول! لا لا، المسألة مكذوبة بلا شك وكل شيء ينطق بكذبها (يفكر) ولكن لو صح الخبر ماذا يكون مصيري؟! (يرتمي على مقعد خائرًا ووجهه بين يديه ثم ينهض فجأة) لا لا! هذا كذب! كذب! كذب!

مرسي: أظن أنه خير لنا أن نتركك وحدك لتفكر في أمرك بحرية تامة.

شعبان: نعم هيا بنا (يخرجون من الشمال).

حسن: ألهَبوا النار في قلبي وخلَّفوني أصطلي لظاها (يدخل الدكتور من اليمين).

الدكتور: كيف حالك الآن يا عزيزي البك؟

حسن (تائهًا)**:** من؟ أنا! تسأل عن حالي؟

الدكتور: نعم، ولقد تركت أمينة هانم الآن وهي في أشد الشوق إلى رؤيتك؛ لأنها لم تَرَكَ طول النهار.

حسن (ذاهلًا)**:** في أشد الشوق إلى رؤيتي! وهل رؤيتي مما يُشتاق إليه؟

الدكتور: ما الخبر يا حسن بك؟ وما الذي جرى؟

حسن (متنهدًا بألم)**:** آه! لا شيء غير أني … غير أني (لنفسه) رحماك يا رب! (له) سأسافر.

الدكتور (مندهشًا)**:** تسافر؟ ومتى؟ وإلى أين؟ ولأي غرض؟

حسن: لا أدري ولكني مسافر الليلة إلى مصر (تدخل أمينة هانم من اليمين).

الدكتور (لحسن بك)**:** ها هي الهانم قد أتت، تفضلي يا هانم فإننا هنا وحدنا (تدخل).

أمينة: أين كنت يا بك طول هذا اليوم فلم أَرَكْ؟ ما بالك مهمومًا؟

حسن: لا شيء، ولكني مسافر الليلة إلى مصر.

أمينة (باندهاش)**:** مسافر الليلة إلى مصر؟ ولأي سبب؟

حسن (متألمًا)**:** مضطر، ولكني سأعود في صباح الغد.

أمينة: ولماذا لا تسافر غدًا صباحًا وتعود في المساء إذا كان لا بد من هذا السفر؟

حسن: مرغم يا أمينة (لنفسه وقد نزل) ليس في قولها ما يدعو لسوء الظن، ولكن كيف يمكن اختلاق جريمة كبرى كهذه بدون أساس.

أمينة (للدكتور على حدة)**:** ألا تعلم سبب سفره؟

الدكتور: لا والله، ولكن أين فريد؟ فإني لم أره اليوم قط.

أمينة: خرج للصيد منذ الصباح ولم يَعُد بَعدُ. (لزوجها) وهل لا تزال مصممًا على السفر؟

حسن: نعم لأن الأمر هام جدًّا. (لنفسه) يا لهول الشك!

أمينة: إنما يجب أن تعدنا بالعودة غدًا بقطار الظهر!

حسن: إن شاء الله (يخرج مذهولًا دون تحية).

أمينة: ماذا؟ أتخرج بدون أن تسألنا عما إذا كنا نحتاج إلى شيء من مصر أو تودعنا على الأقل؟

حسن (يعود)**:** لقد نسيت، إلى الملتقى يا عزيزتي (يصافحها) إلى الملتقى يا دكتور (يصافحه) إن المنزل في رعايتك (يخرج من الشمال).

أمينة (تشيعه بنظراتها حتى الباب)**:** يدهشني جدًّا هذا السفر الفجائي (تهز رأسها متحيرة) عن إذنك يا دكتور، أسعد الله مساءك (تخرج من اليمين).

الدكتور: تفضلي يا هانم أسعد الله مساءك (وحده) «إن منزلي في رعايتك»؛ مسئولية كبرى أُلقيت على كاهلي ولكني أقدِّرها قدرها وما يفعله الله يكون (يطل من البلكون فيدخل فريد من الشمال ومعه بندقية الصيد).

فريد (لا يرى الدكتور)**:** الجو خالٍ صاف، وهذا لحسن الحظ!

الدكتور (وهو في البلكون)**:** من هناك؟ (ينزل).

فريد (يتثاءب)**:** الدكتور؟ أنت هنا؟ تالله لقد أنهكني الصيد اليوم حتى تعبت جدًّا وأشعر بحاجة شديدة إلى النوم، أسعد الله مساءك (يدخل من اليمين).

الدكتور (وهو يتبعه)**:** أسعد الله مساءك، أسعد الله مساءك! ما معنى هذا الكلام! يتغيَّب اليوم بطوله ولا يعود إلا في اللحظة التي يخلو فيها البيت من صاحبه. لا بد أن في الأمر خبثًا يُدبر فكيف السبيل إلى منع حدوثه؟ (يفكر) وكيف أحتال للمبيت هنا الليلة؟ (ينظر في ساعته) الساعة العاشرة. (يدخل فؤاد من الشمال وإحدى يديه على رأسه والأخرى على معدته مصفرَّ اللون جدًّا وهو يتعثَّر في مشيه) آه! آه!

الدكتور: ما الخبر يا بني؟

فؤاد: لا أدري يا دكتور ولكني مريض جدًّا وأشعر بدوار شديد!

الدكتور: مبادئ إغماء، لا بأس لا بأس فالأمر يسير.

فؤاد: وكأن الأرض تدور بي، آه (يقع على كرسي).

الدكتور (يذهب لمساعدته)**:** تشجع تشجع! لقد كان الوغد يدخن.

فؤاد: سيجارة واحدة أخذتها من جيب أبي.

الدكتور: ولكنها كثير بالنسبة إليك.

فؤاد: آه! سأموت! سأموت!

الدكتور: نعم بالطبع ستموت، ولكن ليس الآن.

فؤاد: ها، أنا سأموت؟ آه!

الدكتور: بل ستنام ستنام. (ينادي) زينب زينب! قليلًا من الماء بسرعة (تدخل زينب).

زينب (تُقدِّم كأس الماء)**:** ها هو الماء يا سيدي، ما الذي جرى؟

الدكتور: لا شيء وسيفيق في الحال رُشِّي الماء على وجهه (يتركها ترش الماء وينزل … لنفسه) إن سوء تصرف هذا الغلام قد خدمني أجلَّ خدمة؛ إذ سأتخذ من حالته وسيلة لبقائي إلى جنبه طول الليل فأتمكن من مراقبة فريد مراقبة دقيقة وأقوم بحق رعاية البيت كما أراد صاحبه. (لفؤاد) كيف حالك الآن يا فؤاد؟

فؤاد: مريض جدًّا يا دكتور.

الدكتور: إذن قم إلى فراشك لأعطيك دواءً منومًا.

فؤاد: لا أستطيع المشي يا دكتور.

الدكتور: لا بأس فأنا أمشي بالنيابة عنك (يحمله ويدخل من اليمين).

زينب: أيكون هذا رجلًا وسيجارة كادت تقضي عليه؟! (تدخل أمينة من الباب الثاني اليمين.)

أمينة (وهي عند الباب)**:** هاتي شمعة هنا في غرفتي فإني أريد أن أنام في الحال … أغلقي الباب.

زينب (تذهب إلى الباب الشمال)**:** المفتاح ليس في الباب يا سيدتي فهل أخذه أحد؟

أمينة (تتقدم)**:** ليس في الباب (تجلس) أغلقيه بالأكرة وباب البلكون أيضًا.

زينب (وهي عند البلكون)**:** ما أبدع ضوءَ القمر الليلة!

أمينة: اتركي أحد البابين مفتوحًا (لنفسها) ما أغرب حاله الليلة! فهل تراه قد عرف ما جرى؟ مستحيل! ولكن لماذا لا أخبره وليس في الأمر ما أخجل له؟ لا لا، إنه ابن عمه ويعزُّه كثيرًا، وإذا أخبرته فلا يعلم العاقبة عندئذٍ إلا الله.

زينب: إنك يا سيدتي إذا ظللت جالسة هكذا فلا تلبثين أن تنامي وأنت جالسة كما نمت بالأمس.

أمينة: لا لا، أخلي غرفة نومي وأغلقي النوافذ هناك وانتظريني.

زينب: أمرك يا سيدتي (تخرج من الباب الثاني اليمين).

أمينة (وحدها)**:** إنه يحبني وأحبه وعندما ودَّعني ذلك الوداع المريب شعرت كأنه قد أخذ قلبي معه، ولكن كيف أجسر أن أقول له إن ابن عمك الذي تحبه كما لو كان ولدك ... ولكن هل تراه يصدقني إذا أخبرته؟ أوَلا يرتاب فيَّ أيضًا ويظنني شريكة في هذا الجرم؟ إن الوقت لا يزال فيه متسع ويجب أن هذا الشاب يهجر هذا البيت! ولقد وعدته أن يقابلني هنا وسأرجوه بل آمره أن يرحل عنَّا! آه! أشعر كأن في عيني نارًا تلتهب وأتمنى لو أن تفارقني هذه الوساوس وأن أجد إلى النوم سبيلًا (تخفي وجهها في يديها فتدخل زينب من الباب اليمين الثاني).

زينب: نامت! هل تأمرين بشيء يا سيدتي؟

أمينة (منتبهة)**:** كلَّا! ألم أقل لك انتظريني في غرفتي؟ اذهبي الآن إلى غرفتك فإني لم أعد في حاجة إليك.

زينب: أمرك يا سيدتي (تخرج من الباب اليمين).

(يدخل فريد من الباب الأول اليمين ويغلقه بالمفتاح ويضع المفتاح في جيبه فتتنبه أمينة هانم.)

أمينة: أتزالين هنا يا زينب؟

فريد: هُسْ! إنه أنا (يقترب منها بالتدريج) ولكن ما بالك مضطربة؟ لقد فوجئنا بالأمس أما الليلة ...

أمينة: إذا كنت نادمًا على ما فرط منك بالأمس فإني أتقبَّل عذرك، ولكن يجب أن تعلم أنه بعد الذي جرى لا يمكن أن تبقى في المنزل، فعِدنا بمغادرة القرية كلها في صباح الغد وأنا أعفو عما سلف، وأسعد الله مساءك (ذاهبة إلى غرفتها).

فريد (محاولًا أن يمسكها)**:** لا لا ... لا تهجريني!

أمينة: سيدي! أرجوك (تذهب خلف الكنبة).

فريد: بل أنا الذي أرجوك بل ألتمس بل أتوسل وأبتهل! دعيني أفرغ لك هنا كل ما في قلبي على قدميك (يمسك يدها وهي تحاول إفلاتها) استمعي يجب أن تستمعي!

أمينة: اتركني بربك وحسبك هوسًا (تحاول التخلص).

فريد: أتركك؟ أبدًا! وإذا كنت متهوسًا فبجمالك وفي حبك.

أمينة: سيدي ... بربك دعني! (تفلت منه وتقع على كرسي وتخفي وجهها بيديها) لقد اجترمت أكثر مما كنت أتصور وهذا قصاص شديد.

فريد: اجترمت؟ وهل في الحب جريمة؟

أمينة: الحب؟ كذب وبهتان! فأنا لا أحبك ولم أنظر إليك نظرة حب قط.

فريد: يا للمغالطة! وكيف تفرقين بين قلبي وقلبك؟

أمينة: حسبك لا تزد! فقد خدعتني ونصبت لي حبائل من ريائك ومَلَقِك، واتخذت من مراعاتي لك وعطفي عليك وسيلة للتغرير بي فاعتبرت مراعاتي غرامًا وعطفي حبًّا.

فريد: لا تهزئي بقلبك وما استكنَّ فيه؛ لأن هذا الصدود هو اعتراف صريح.

أمينة: كفى يا سيدي اتركني (تبتعد).

فريد: هذا ما لا يمكن أن يكون قط (يقترب منها).

أمينة: إذن فلا أبقى هنا لِأُهان (تذهب إلى الباب الأول اليمين) مغلق! وهل رأيتني قد تشغلت إلى حد أنك تجسر ...

فريد (يتقدم إليها)**:** الحب يشجعني على كل شيء!

أمينة (ترمي كرسيًّا بينها وبينه)**:** اقترب مني وأنا أصرخ مستنجدة (تقترب من البلكون).

فريد: إنك لا تجسرين على ذلك حرصًا على سمعتك (يعترضها).

أمينة (تذهب إلى حبل الجرس المدلى)**:** لا أجسر؟ سترى!

فريد (يتناول حبل الجرس بإحدى يديه ويقطعه بالأخرى)**:** قُضي الأمر!

أمينة (تقترب إلى المنضدة)**:** آه يا سيدي! ارحمني! وإذا كان لا يزال لديك بقية شرف أو شهامة فاتركني أتوسل إليك!

فريد (يتناول يدها)**:** اعترفي بأنك تحبينني، إن لم يكن بكلام فبنظرة.

أمينة (تلمح خيالًا على زجاج النافذة في الشمال)**:** ويلاه! لقد انكشف الأمر.

فريد: مستحيل.

أمينة (وهي تكاد أن يغمى عليها)**:** لمحت خيالًا على زجاج النافذة.

فريد: آه (يندفع إلى البلكون ليختفي فيه فتسرع أمينة بإغلاق الباب عليه ثم تعود متعثرة خائرة القُوى إلى كرسي في الوسط ترتمي عليه).

أمينة: لقد نجوت.

(يدخل حسن بك من الباب الشمالي بسكون وتُؤَدَة.)

حسن: وجدتك! كذب ولا شك!

أمينة (مضطربة)**:** رباه! زوجي.

(تسرع إليه وتطوق عنقه بذراعيها.)

حسن (ملاطفًا)**:** إنه أنا يا حبيبتي فلا تنزعجي.

أمينة: لم أنزعج ولكم سررت جدًّا لعودتك.

حسن: أظنك لم تتوقعي حضوري بهذه السرعة يا أمينة؟ لقد تخلفت عن القطار، ولكن ما بالك مضطربة؟

أمينة: المفاجأة أدهشتني.

حسن (بحنان)**:** كيف أطلب إليك العفو؟

أمينة (مندهشة)**:** العفو؟ عن أي شيء يا عزيزي البك؟

حسن: لأني ظننت أن ...

أمينة: ماذا ظننت؟

حسن (مترددًا مرتبكًا)**:** لقد ظننت ... في الحقيقة أنا ... آسف جدًّا ... لأني ... أزعجتك على هذه الصورة (يمشي فيرى الكرسي الذي سبق أن وقع على الأرض) من الذي أوقع هذا الكرسي؟ آه، ومن قطع حبل الجرس؟ (يدخل الدكتور شمالًا).

الدكتور: هُس!

حسن بك وأمينة: الدكتور!

الدكتور: أرجوك المعذرة يا بك، فإني ما كنت أظن أنه أنت الذي يتكلم هنا.

حسن (مرتابًا)**:** لقد تخلفت عن القطار، ولكن ...

الدكتور: أرجوك أن تخفض صوتك؛ لأنه لم يَنَمْ إلا الآن فقط.

حسن: من؟

الدكتور: الفتى فؤاد.

حسن: فؤاد؟

الدكتور: نعم، فقد أصيب بالدوار من جراء سيجارة دخنها (إلى أمينة) ولكن ما بالك قلقة عليه إلى هذا الحد يا هانم؟ لقد تحسَّنت حالته الآن كثيرًا.

حسن (مندهشًا)**:** هذا الفتى الصغير يدخِّن؟

الدكتور: يظهر أنه دخن الليلة لأول مرة فأصيب بإغماء ودخل عليَّ مصفرَّ الوجه كالأموات، وما لبث أن سقط على الأرض من شدة الدوار، ثم جعل يتدحرج حتى قلب الكراسي وأتلف نظام الغرفة كما ترى.

حسن: آه، إذن فهذا هو السبب، ولكن مَن قطع حبل الجرس؟

الدكتور: أنا، فقد أذهلني الشقي حتى إني عندما أردت أن أدعو زينب لمساعدتي جذبت الحبل بعنف فانقطع في يدي، ويظهر أن الهانم كانت نائمة هنا في غرفتها (يشير إلى الغرفة) واستيقظت على صوت الجلبة فجريت علينا ولما رأت تلك الجلبة قلقت على الفتى كثيرًا.

حسن: ذلك لأنها رقيقة القلب جدًّا (لنفسه) إنها الطهارة مجسَّمة وقد كذب الواشون.

الدكتور: وتالله لقد أصابت الهانم إذ أشارت عليَّ بألا نخبر والد الفتى؛ لأنه قد تعافى والحمد لله.

أمينة: لقد طمأنتني يا دكتور (للدكتور على حدة) إنك لكريم جدًّا يا سيدي!

حسن: لماذا لا تتنفسين إذن يا أمينة؟ أتراك تشكين شيئًا؟

أمينة (بضعف)**:** لا شيء، لا شيء.

الدكتور: لا تنسَ يا بك أن ما تعانيه الهانم الآن من الضعف ليس إلا نتيجة ما أصابها من الاضطراب.

حسن: نعم نعم، أضف إلى ذلك أن هواء الغرفة حار جدًّا يجعل المرء يكاد يختنق ويجب أن أفتح باب البلكون (ذاهبًا).

أمينة (للدكتور همسًا)**:** إنه هناك.

الدكتور (على حدة)**:** فهمت. (لحسن بك بسرعة) انتظر يا حسن بك، انتظر حتى لا تتعرض الهانم لالتهاب في الرئة. (لها على حِدَة) يجب أن يخرج.

حسن (وقد سمعه)**:** مَن؟ مَن الذي يخرج يا دكتور؟

الدكتور (يخرج من جيبه زجاجة صغيرة بسرعة)**:** غطاء هذه الزجاجة؛ فإن فيها دواء منعشًا وقد حاولت فتحها عندما كان فؤاد مغمًى عليه فلم أُفلح. هل معك مبراة يا حسن بك؟

حسن: تفضل (يناوله المبراة).

الدكتور: شكرًا لك (يخبط على الزجاجة بالمبراة) يجب أن تخرج ولا بد من خروجك: واحد اثنين ثلاثة، نُط (يفتح الزجاجة).

حسن: ها لقد نط!

الدكتور (باهتمام وسرور)**:** لا شك في ذلك (يناول الزجاجة لأمينة هانم) استنشقي الآن يا هانم (إلى حسن بك) يمكنك أن تفتح الباب إذا أردت يا بك (حسن بك يفتح الباب).

حسن (ينزل لأمينة هانم)**:** لعلك أحسن الآن يا أمينة؟

أمينة (تنظر نحو البلكون)**:** نعم أحسن كثيرًا.

حسن (يتسمع)**:** هُسْ! هُسْ (يجري نحو البلكون مسرعًا ويدخله).

الدكتور (قلقًا)**:** ما الخبر؟

أمينة (على حِدة)**:** رآه وقُضي عليَّ (لزوجها وقد أسرع نحو الباب الشمال) ما الذي جرى يا بك؟ إلى أين؟

حسن (وهو خارج بسرعة من الشمال)**:** سمعت حركة في الحديقة (يخرج بسرعة).

أمينة: دكتور! دكتور! أشعر بالدوار الشديد! آه! وقد مادت الأرض تحت قدمي!

(تسقط على كرسي مغمًى عليها وتنزل الستار بسرعة.)

(ستار)

الفصل الرابع

(المنظر: كما في الفصل الثالث تمامًا غير أن المنضدة التي في الوسط عليها أوراق وأدوات للكتابة …)

(ترفع الستار عن أمينة هانم جالسة في كرسي في اليمين وهي صفراء اللون تائهة الفكر وأمامها زينب.)

أمينة (ترفع رأسها قليلًا)**:** ألم تَرَي سيدك البك هذا الصباح يا زينب؟

زينب: كلَّا يا سيدتي ولست أدري أين ذهب، وكذلك لم أرَ فريد أفندي.

أمينة (باستياء وفتور)**:** لم أسألك عن هذا (يدخل الدكتور من الشمال).

الدكتور: صباح الخير يا هانم.

أمينة (تقف)**:** صباح الخير يا دكتور (تنظر إلى زينب فتخرج من اليمين) كيف أستطيع أن أشكرك على ما فعلت بالأمس؟! (الدكتور يطأطئ رأسه).

الدكتور: لم أفعل يا سيدتي إلا ما يقتضيه الواجب في مثل ذلك الموقف الحرج.

أمينة: حقًّا لقد كان موقفي بالأمس أسوأ موقف تَقِفُه سيدة أمام زوجها وأمام صديق مثلك، إنما كيف ساقتك العناية إليَّ في تلك اللحظة؟

الدكتور: الحقيقة يا سيدتي أني كنت أبحث عن فريد، ولمَّا لم أجده في غرفته رجَّحت وجوده هنا، غير أني وجدت ذلك الباب موصدًا (يشير إلى الباب الأول اليمين) فنزلت إلى الحديقة من الناحية الأخرى وأتيت من هذا الباب (يشير إلى الباب الشمال) وتالله ما كان أشد خجلي عندما وجدتك هنا مع حسن بك! إنما كيف انتهت ليلة أمس؟

أمينة: آه يا دكتور! لقد أمضيت بالأمس ليلة هي أسود الليالي.

الدكتور: هل قال لك شيئًا آلم عواطفك؟

أمينة: كلَّا، ولم نتحادث بالأمس؛ لأنه بعد أن خرج من هنا مسرعًا كما رأيت لم يعد إلا في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل وعندما سمعت وقع أقدامه تولَّاني رعب شديد وفزع أكبر فارتميت على المقعد الطويل وتظاهرت بالنوم.

الدكتور: فتركك ونام؟

أمينة: بل ظل واقفًا إلى جانبي يتفرَّس فيَّ فَعَلَتْ دقات قلبي حتى لا أشك في أنه سمعها ولم أجسر على أن أختلس النظر إلى عينيه، ولكني شعرت بما يتجلَّى فيها، ثم جعل يتمشَّى في الغرفة وهو يفكر تفكيرًا عميقًا، وما لبث أن اندفع نحو النافذة وفتحها وظل يسرح ناظره حتى تنفس الصباح، فانسلَّ خارجًا وخلَّفني أكاد أموت من الفزع.

الدكتور: ولم تريه إلى الآن؟

أمينة: لم أَرَه حتى إني شديدة الرغبة في رؤيته، ومع ذلك أخشى أن أرفع عيني في عينيه.

الدكتور: تشجعي تشجعي.

أمينة: إن أفكار الليل كادت تذهب بصوابي وكان يجب عليَّ أن أخبره بكل شيء، أما وقد أضعت الفرصة فمن ذا الذي يصدقني الآن؟!

الدكتور: أرجو أن تُهدِّئي روعك؛ لأنك ربما تكونين قد أقلقت بالك أكثر مما يجب.

أمينة: لا لا، ولقد هممت أن أقول له إن هذا كله محض افتراء، ولكني لم أقوَ على القول.

الدكتور: أنصفتِ أما إذا كان قد رأى فريدًا هنا ...

أمينة: ماذا؟ أنت أيضًا يا دكتور تعتقد أن ...

الدكتور: معاذ الله يا سيدتي! فإني لا أعتقد في شيء يَمسَّك وإلا لما كنت أطأ أرض هذا البيت، ولكن كيف يعلل وجود فريد في البلكون في تلك الساعة من الليل؟

أمينة (بشيء من الأنفة)**:** إذن لا بد أن أخبر زوجي بالأمر كله في الحال؛ لأن كرامتي تأبى عليَّ قبول الاتهام.

الدكتور: تبصَّري يا سيدتي؛ لأن هذا سيؤدي إلى أوخم العواقب وقد ينتهي بسفك الدماء!

أمينة: لا لا، سأخبر زوجي بكل شيء وسيصدقني بل يجب أن يصدقني (ذاهبة نحو الباب اليمين الأول).

الدكتور: ولكن أين البرهان؟

أمينة: البرهان؟ لديَّ البراهين؛ فإني أستطيع أن أثبت له ... لا لا ... لا أستطيع وكل شيء يتهمني وكل شيء يمكن اتخاذه دليلًا ضدي، وقد وقعت في أحبولة من الإفك والبهتان ولا أملك تبرئة نفسي (تقع على كرسي خائرة القوى وتغطي وجهها بيديها).

الدكتور (ينظر ناحية الباب الشمال)**:** هُسْ! فقد أتى فريد.

أمينة: أيزال هنا! وكيف يجسر على البقاء؟ إني لا أحب أن أراه (ذاهبة إلى الباب).

الدكتور: ولكن يجب أن نعرف ما إذا كان قد قابل حسن بك أو لم يقابله.

أمينة: إذن فاسأله أنت ما شئت؛ لأن رؤية هذا الرجل تخيفني وتملؤني رعبًا (تخرج من الشمال).

الدكتور (وحده)**:** يا لها من امرأة مسكينة! ولكن لا غرابة في الأمر؛ لأن إطلاق الحرية للنساء في مخالطة الرجال يجرُّ إلى ما هو أشر من ذلك وأوخم عاقبة (يدخل فريد من الشمال متباطئًا).

فريد (وقد أخفى ذراعه اليمنى في صدره)**:** صباح الخير يا دكتور، لقد كنت أبحث عنك.

الدكتور: كذلك أنا، هل رآك أحد بالأمس؟

فريد: لا أظن ذلك، وقد عملت بنصيحتك الثمينة فقفزت من البلكون ولكن السقطة آلمتني لحظة وما كدت أنهض وأتسلل خلال الأشجار حتى لمحت شخصًا في البلكون ينظر ناحيتي وما لبث أن نزل إلى الحديقة يبحث في كل مكان فاختفيت وكتمت أنفاسي حتى إذا تجاوز ناحيتي تسللت بخفة وجريت من البستان، وقضيت ليلتي في الحقل المجاور بين أشجار القطن أفكر فيما جرَّه عليَّ هذا الطيش.

الدكتور: الطيش ... بل قل ...

فريد: جريمة؟ سمِّها ما شئت، ولكن ثِقْ يا صديقي العزيز أني أسفت أشد الأسف وندمت جِدَّ الندم وسأبذل كل جهدي لعلي أستطيع إصلاح ما جرى.

الدكتور: الآن فقط تكلمت كما يتكلم رجل شريف، فهات يدك (يصافحه).

فريد (متألمًا من المصافحة)**:** آه!

الدكتور: ماذا؟

فريد: عندما قفزت من البلكون وقعت على معصمي فانثنى كما ترى.

الدكتور: رضوض ... جزاء عادل، لقد كوفئت على ما اقترفت. (تدخل أمينة هانم من الباب الأول اليمين وهي متألمة مضطربة) هل عاد حسن بك يا هانم؟

أمينة: كلَّا يا دكتور ولكني أرسلت زينب لتبحث عنه فوجدته في آخر البستان يتمشَّى مفكرًا فانتهرها؛ لأنها عكرت عليه صفاء خلوته.

الدكتور: كان يحسن أن تدعيه وحده وألا ترسلي إليه أحدًا.

أمينة: تلك غلطتي ولذلك جئت أقصها عليك (ينظر ناحية الباب الشمال) وها هو آتٍ هناك (فريد عندما يسمع ذلك يهمُّ بالخروج من الباب الأول اليمين).

الدكتور (إلى فريد)**:** ابْقَ يا فريد هنا (ينظر إليه فريد نظرة المتردد ويجلس في أعلى المسرح متشاغلًا بكتاب أو غيره مما على المنضدة) وأنت يا هانم أرجوك البقاء معنا (تجلس على كرسي في اليمين مفكرة بائسة. الدكتور كأنه يتمم حديثًا معها) وأنا معك في هذا الرأي؛ إذ يجب حقيقة أن يكون تعليم البنات أكثر انطباقًا على العوائد والتقاليد الشرقية، وإلا ضاعت قوميتنا وأصبحت الأسرة المصرية لا شرقية ولا غربية (خلال هذا الحديث يدخل حسن بك من الشمال متمهلًا وهو يقرأ جريدة في يده وتحت ذراعه جرائد أخرى. ينزل بِتُؤَدَة).

أمينة: بلا ريب (على حدة) هذا عذاب وجحيم!

حسن (يقرأ في الجريدة)**:** وليس ببعيد على هذه الأمة العريقة في المجد أن تتبوأ مركزها اللائق بها بين الأمم وتصبح من أكبر عوامل الرقي والحضارة في العالم.

الدكتور (إلى حسن بك)**:** يظهر أن شئون البلاد قد شغلتك يا حسن بك وأَلْهَتْكَ عن كل ما عداها.

حسن: معذرة يا عزيزي الدكتور صباح الخير كيف حالك؟

الدكتور: بخير ولله الحمد.

أمينة (على حدة)**:** إنه مصفرُّ اللون.

حسن (لزوجته)**:** أنت هنا؟ تالله لم أَرَكِ، لقد تركتك ليلة الأمس بغتةً وعندما عدت وجدتك نائمة نومًا عميقًا فلم أشأ أن أقلق راحتك، أما أنا فلم يغمض لي جفن طول الليل؛ لأن الصداع الشديد تولَّاني حتى الصباح. (يلمح فريدًا) فريد؟ أين كنت هذا الصباح لأني لم أجدك في غرفتك؟

فريد: آه، لقد خرجت اليوم مبكرًا جدًّا لأستنشق نسمات الصباح المنعشة في المزارع والحقول.

حسن: هذا يفيدك جدًّا، أليس كذلك يا دكتور؟

الدكتور: بالطبع، ولقد عمل ذلك بناءً على نصيحتي.

حسن (إلى فريد)**:** ولكن ما بالك رافع يدك كما لو كانت مصابةً بشيء؟!

فريد (متجلدًا ومخفيًا شعوره)**:** أوه، لا شيء بها.

حسن: يجب أن تحرص على يدك أشد الحرص؛ لأنك ستحتاج إليها قريبًا. (للدكتور) ألم تقرأ الجرائد اليوم يا دكتور؟

الدكتور: كلَّا، وهل فيها شيء جديد؟

حسن: لقد وقع نظري في أحدها على حادث عظيم (الكل يُصغون) ذلك أن زوجًا اتضح له أن زوجته سلكت مسلكًا صعبيًا شائنًا فتغلَّب اليأس على المسكين وانتحر (اندهاش عام) والحادث طبيعي جدًّا، والجريدة فصَّلته أحسن تفصيل.

الدكتور: ولكني لا أظن الحادث طبيعيًّا بل إنه نادر الوقوع على هذه الصورة، لا سيما وأن الانتحار أمر محزن جدًّا.

حسن: أوَكنت تنتظر أن ينظر الزوج إلى خيانة زوجته نظرته إلى شيء مضحك مفرح؟

الدكتور: أنا لم أنتظر ذلك ولم أقل ذلك، ولكني أقول إن مسألة الانتحار ...

حسن (مقاطعًا)**:** آه يا صديقي العزيز! لو كنت متزوجًا لاستطعت أن تدرك مقدار العذاب الذي يشعر به المرء لمجرد الغَيرة وحدها، فما بالك بالزوج عندما يرتاب في زوجته ثم يتضح له أن هذه الريبة أمر حقيقي! ماذا عساك تظنه يفعل؟ أيقتل العشيق؟ أم يقتل الخائنة؟ أم يقتلهما معًا؟ أم يقتل نفسه؟ أم يتركهما ويعيش تحت نِير العار والفضيحة؟ أم تظنه يعفو ويصفح؟ ربما كان في وسع البعض أن يصفح ويغتفر ولكن ليس في وسعه

أن ينسى؛ فيظل شبح الجريمة ماثلًا أمامه ما دام حيًّا. ومن رأيي أن هذا الزوج الذي نحن بصدده قد أنصف بانتحاره؛ أَعَذَابُ لحظة أم عذاب الأيام يبقى ما بقيت الحياة؟ إن بين العذابين لفرق كبير، ولا يسعني إلا أن أقول إني أفضل الانتحار.

أمينة (مرتبكة مضطربة)**:** الانتحار!

حسن (مسترسلًا ولم يسمعها)**:** وعلى رأس الشريكين في الجريمة يقع دم المنتحر. فماذا ترى يا دكتور؟

الدكتور (مرتبكًا)**:** إني أرى … إني من رأيك.

حسن: بالطبع لأنك رجل يعرف قيمة الشرف (لزوجته) خذي واقرئي يا أمينة، وإني واثق من أنك توافقين على رأيي.

فريد (ينهض ويقترب من الباب الشمال، على حدة)**:** ما عدتُ لأطيق على هذا صبرًا.

حسن: إلى أين يا فريد؟

فريد: مسافر الليلة إلى العاصمة لأمر هام، فهل تأمر بخدمة؟

حسن: كلَّا، شكرًا لك. ولكن هل ستعود في المساء؟

فريد: يحتمل.

حسن: لا لا، بل عدني وعدًا قاطعًا بأنك ستعود؛ لأني أتوقع أمرًا يَخصُّك.

فريد (يتبادل النظرات إلى الدكتور)**:** ما دام الأمر كذلك فإني أعدك بالعودة (ذاهبًا) ألست بخارج يا دكتور (يقع نظره على نظر أمينة فتنظر إليه نظرة ملؤها الاحتقار).

حسن: ماذا؟ أتسافر بدون أن تودعني (يصافحه) سر في حراسة الله يا بني!

فريد (يغالب نفسه المتأثرة)**:** شكرًا لك يا بِك (يتعثر حتى يكاد يسقط فيسنده الدكتور. للدكتور على حدة) خذ بيدي وإلا خانتني قواي (يخرج من الباب الشمال متكئًا على الدكتور).

(حسن بك يجلس إلى يمين المنضدة مفكرًا قليلًا ثم يبحث في جيوبه ويخرج سيجارة يشعلها وهو تائه. أمينة هانم تنهض وتذهب خلفه قاصدة الباب اليمين، ثم تقف لحظة تنظر إليه بقلق واضطراب، وبعد أن تخطو بضع خطوات نحو الباب تعود إليه.)

أمينة: هل أنت في حاجة إليَّ يا عزيزي؟

حسن (بلا اهتمام)**:** كلَّا.

أمينة (مترددة)**:** أوَلا تريد أن تقول لي شيئًا؟

حسن: كلَّا … بل ناوليني ما ورد لي من الرسائل، ولكن لا ها هي (يراها على المنضدة).

أمينة (على حدة)**:** يخيفني من عدم اكتراثه لي وليتني أستطيع أن … ليتني (بعزم) لا بد أن أقول له (تكاد تفتح فمها بالقول فتسمع صوت أصدقائه يتكلمون في الخارج ناحية الباب الشمال) أضعت فرصتي الوحيدة مرة أخرى.

حسن (وهو يقرأ في رسائله)**:** ماذا تقولين؟

أمينة: لا شيء (تخرج من الباب الشمال متمهلة وهي تحدِّق في زوجها بكآبة وحزن).

(يدخل من الباب اليمين شعبان بهدوء وسكينة ثم يشير إلى مرسي بالدخول فيدخل هذا ووراءه رمضان ثم الصاغ وينزلون خلف بعضهم.)

شعبان: صباح الخير يا حسن بك (يمد يده).

حسن (بدون أن ينظر إليه أو يرى يده لانهماكه في أوراقه)**:** صباح الخير (يرى يد شعبان فيصافحه بغير انتباه) لا تؤاخذني (يحتاطون جميعًا بحسن بك).

رمضان (متنهدًا)**:** كيف حالك يا عزيزي البك؟

الجميع (يهزون رءوسهم بأسف)**:** نعم كيف حالك؟

حسن (يضع رسالة في ظرفها ويضع الظرف في جيبه)**:** كيف قضيتم ليلتكم؟ (الجميع يندهشون لسكونه).

شعبان: ليلتنا!

حسن: نعم، فهل استمتعتم بنومكم؟

مرسي: أوه! أما من جهتنا فقد نمنا نومًا هنيئًا ملء الجفون، ولكن كيف أنت؟

حسن: أنا (يقف) الحقيقة أنه لم يغمض لي جفن طول الليل.

مرسي: معذور!

شعبان: لا سيما في ليلة كتلك ... آه!

الجميع (يهزون رءوسهم بأسف): آه!

حسن: أتسمحون لي حتى أُتِمَّ كتابة رسائلي؟

(يجلس إلى المنضدة ويظل يكتب خلال الحديث الآتي. أما الأصدقاء فينزلون جميعًا إلى أسفل المسرح ويتحادثون بصوت منخفض.)

الصاغ: ما هذه الحكاية التي أخبرتموني بها عن زوجته؟

شعبان: حكاية غريبة!

مرسي: ولا نفهم سرها!

رمضان: لا بد أنها اختلقت له قصة ملفقة وأدخلت عليه الغفلة.

الصاغ (بأسف): إذن فقد انتهت المسألة بسلام.

شعبان: بالطبع، ما دام الزوج قد قبل معاشرة زوجته.

مرسي (متهكمًا): ويا له من قبول حسن!

رمضان: إن الموضوع شائن جدًّا ولكنه درس لنا في المستقبل.

شعبان: لقد ضحينا عواطفنا على مذبح الصداقة.

مرسي: من سعادة المرء أن يكون أنانيًّا فكم أتمنى لو كنت أنانيًّا! (يدخل خليل بسرعة ويهمس في أُذن سيده حسن بك همسًا) سيدي البك، سيدي البك (يهمس في أذنه كلامًا غير مسموع).

حسن (يقف منتفضًا): ها أنا آتٍ (يخرج مسرعًا من الشمال وخلفه خليل).

مرسي: يظهر أنه لم يصطلح بعد؛ لأن الغضب ما زال ينجلي في وجهه.

الصاغ: وكيف لا يغضب والمسألة تتعلق بشرفه؟!

شعبان: لقد فهمت الآن أن جموده ليس إلا تظاهرًا فقط، وأخشى أنه سيحدث شيء مخيف!

مرسي: يلوح ذلك ويحسن أننا لا نتداخل في الموضوع، وحسبنا ما فعلت إلى الآن.

رمضان: نعم نعم، والعاقل الحازم من لا يتداخل في مثل هذه المشاكل.

مرسي: ولا بد أن سيكون في المسألة قضية تنظر في المحاكم ويدخلوننا فيها بصفة شهود.

شعبان: وهذا يمس كرامتنا.

رمضان: يكفينا على كل حال أننا قمنا إلى هذا الحد بواجبنا نحوه بصفتنا أصدقاء.

مرسي: بلا شك، وأحسن ما نفعله الآن هو أن نقول إننا لا نعرف شيئًا ولم نسمع شيئًا.

شعبان: والحقيقة أننا لا نعرف شيئًا.

رمضان: بالمرة، ويحسن أننا نخرج من الطريق.

مرسي: وبكل ما يمكن من السكون.

شعبان: هلمُّوا بنا (يتجمعون أعلى المسرح ثم يخرج شعبان ورمضان ومرسي من الشمال).

الصاغ (وحده)**:** يا لهم من جبناء! يتخلون عن صديقهم وقت الشدة!

مرسي (راجعًا)**:** جبناء! هذا واجب المرء نحو نفسه، ولو كنت أعرف أن المسألة ستنتهي على هذه الصورة لكنت سافرت من الصباح فكم أتمنى لو كنت أنانيًّا (يخرج).

الصاغ: جبناء ولا شك! ولكني لا أتخلى عن صديقي العزيز حسن بك وسأظل إلى جانبه حتى يحصل على الترضية الكافية (يخرج من الشمال).

أمينة (تدخل من اليمين قلقة)**:** رباه! رباه! إنه يعدو في الحديقة مسرعًا ويبحث تحت البلكون ولا شيء هناك غير ما تركه فريد من الأثر عندما قفز! كل شيء يتهددني بالفضيحة والعار فكيف أتقي هذا الخطر؟! (يظهر فريد من اليمين في الباب بملابس السفر).

فريد (لنفسه)**:** لقد صدقت ولو تركتها الآن أكون جبانًا (يرمي بالطو السفر على كرسي فتلتفت إليه).

أمينة (بكبرياء وغضب)**:** أنت لا تزال هنا؟!

فريد: سمعتك يا سيدتي تتكلمين عن الخطر، وإذا كان ثمة خطر فأنا سببه ويقضي عليَّ الواجب بالبقاء حتى أدفع عنك ما يتهددك وأثبت براءتك للملأ وأتحمل على نفسي تَبعة طيشي وجنوني.

أمينة (بأنفة وكبرياء)**:** لست في حاجة لأن تبرئني ولا أقبل دفاعك عني (تخطو يمينًا).

فريد: سيدتي أتوسل إليك أن ...

أمينة (مقاطعة)**:** أرجو أن تتركني يا سيدي فإني أستطيع الدفاع عن نفسي.

فريد: ولكنك نسيت يا هانم ...

أمينة: نسيت؟ كلَّا لم أنسَ شيئًا فإنك أنت الذي كدت أن تلقي بي في هاوية العار والفضيحة والخراب، وهذا ما لا أنساه وما لا يمكن أن أغفره لنفسي، أما أنت فشأنك مع نفسك إذا شئت اغتفرت لها أو لم تغتفر.

فريد: اسمحي لي على الأقل ...

أمينة: أستحلفك يا سيدي بحق من بسط الأرض ورفع السماء ألا تضيف شرًّا جديدًا إلى ما عملت! فاتركني في الحال؛ إذ لو رآك أحد هنا الآن ...

فريد: إذن فطوعًا لأمرك يا سيدتي أخرج من هنا (ذاهبًا نحو الباب الشمال، فيلمح حسن بك داخلًا فيختفي خلف الباب الشمال).

أمينة (وقد دخل زوجها)**:** زوجي (تسقط جالسة على كرسي مختفية فيه. حسن بك يدخل بدون أن يرى أحدًا ويقصد إلى الباب الأول اليمين حيث يدخل).

أمينة: ماذا عساه يريد يا ترى؟ إنه مشغول الفكر جدًّا!

(يدخل حسن بك من الباب الأول اليمين ومعه علبة بها مسدس، يضع العلبة على المنضدة ويتناول المسدس ويخرج مسرعًا من الشمال. عقب خروج حسن بك يظهر فريد.)

أمينة (مسرعة إلى المنضدة)**:** ما الذي عمله؟ (ترى علبة المسدس) رباه! المسدس!

فريد (متقدمًا)**:** المسدس! وإلى أين ذهب؟

أمينة: لست أدري فلا تقف تنظر إليَّ هكذا، أسرع إليه! ولكن لا ... قف فأنا التي أذهب إليه بنفسي، آه! لا أستطيع المشي، أكاد أسقط على الأرض (يحاول فريد أن يأخذ بيدها فتنفر منه) لا لا، لا تقترب مني ولا تلمسني (يتعثر إلى حبل الجرس) النجدة النجدة! (صوت طلق ناري بعيد. تضرب جبتها بيدها وتسقط على كرسي في الشمال الوسط) ويلاه! لقد مات وأنا قاتلته!

(تسمع وقع أقدام فتنهض متثاقلة شاحبة اللون متجهة نحو اليمين وهي تكاد لا تستطيع المشي، فيدخل الدكتور من الشمال.)

الدكتور: ما الذي جرى يا هانم؟

فريد (يشير إلى علبة المسدس على المنضدة)**:** انظر … إن حسن بك …

الدكتور (مصعوقًا)**:** قتل نفسه؟!

أمينة: مات زوجي يا دكتور! انتحر المسكين! بل قُتل وأنا قاتلته (تسقط على كرسي وقد انعقد لسانها. أما الدكتور وفريد فإنهما في ذهول).

حسن (يدخل من الباب الشمال وبيده ثعلب قتيل قد أمسكه من ذيله، وبيده الأخرى مسدس. ضاحكًا ملء شدقيه)**:** هاهاها! قتلته قتلًا (اندهاش عام) من أول رصاصة!

الجميع: الثعلب!

أمينة (مسرعة إليه بلهف)**:** آه يا عزيزي! لقد خشيت أن … (تتغلب على عواطفها).

حسن: لا تخافي يا عزيزتي لا تخافي، فإنه ميت الآن (يدلي الثعلب من ذيله) أنت الذي أَطَرْتَ النوم من أجفاني طول ليلة الأمس.

الدكتور: طول ليلة الأمس؟

حسن: بالطبع، وإنك لتذكرين يا أمينة أني تركتك بالأمس بغتة؛ وذلك لأني سمعت حركة تحت البلكون فأيقنت أنه لا بد أن يكون هذا الملعون هو صاحب الحركة، فإذا به وقد أتلف الأزهار. ولكني أحمد الله إذ لم يَفْتِكْ بفرختي الجميلة. ولقد أمضيت ليلتي في النافذة أراقب عودته ولكنه لم يعد فتيقظت جدًّا، وأظنك لاحظتِ عليَّ يا عزيزتي أني كنت مضطربًا وشارد الفكر هذا الصباح!

أمينة: نعم نعم.

حسن: وهذا هو اللعين صاحب القصة (يرمي الثعلب من يده) أما الآن فقد ارتاح ضميري ولو أن الخبيث قد كلفني كثيرًا. وتالله إن ليلة الأمس مما لا يُنسى مدى الحياة.

أمينة: تالله لن أنساها ما حييت! عن إذنك يا دكتور؛ لأني تَعِبة جدًّا وفي أشد الحاجة إلى الراحة.

الدكتور: تفضلي يا سيدتي (تخرج من الباب الثاني اليمين. يدخل خليل من الشمال ومعه جواب).

خليل (يقدم الجواب لسيده)**:** تفضل يا سيدي (يخرج خليل).

حسن (يتناول الجواب)**:** جواب رسمي. (يفتحه ويقرؤه) برافو برافو (إلى فريد) فريد، مبروك أهنئك! (للدكتور) هَنِّئه يا دكتور!

الدكتور: مبارك.

فريد (متثاقلًا)**:** وعلامَ التهنئة؟

حسن: خذ واقرأ (يناوله الرسالة) لقد عيَّنوك معاون إدارة بمديرية أسيوط، الحمد لله الذي كلَّل مساعيَّ بالنجاح.

الدكتور: الآن أهنئك من صميم قلبي يا فريد أفندي.

فريد: شكرًا لك يا دكتور ... حسن بك يا ابن عمي العزيز، إن طهارة قلبك وصفاء نفسك وعزيز فضلك عليَّ وكرمك قد عقدت لساني عن أن يفيك حق شكرك! فالوداع لأتمكن من السفر الآن، وأسأل الله ألا ترى في المستقبل ... إني ما كنت لأستحق منك هذه العناية وهذا الفضل.

حسن (يقبِّله بحنان وعطف)**:** أستغفر الله يا بني أستغفر الله! إنك لست ابن عمي فقط بل تكاد تكون ولدي يا فريد، وإني دائمًا مستعد لمساعدتك في كل شيء، فاذهب الآن وسلِّم على أمينة وودِّعها قبل رحيلك.

فريد (ينظر في ساعته متأثرًا)**:** لم يبقَ على قيام القطار غير ربع ساعة (ينظر إلى الدكتور نظرة خاصة).

الدكتور: لا بأس إذا أعفيته يا بك من هذه التحية؛ لضيق وقته من جهة ولأن الهانم قد تركتنا تَعِبة وفي حاجة إلى الراحة ... اذهب يا فريد في حراسة الله!

فريد (متأثرًا متألمًا)**:** الوداع يا ابن عمي (يقبل يد حسن بك وهو منفعل مغرورق العينين ويخرج من الشمال فيلتقي بالأصدقاء داخلين فيحييهم بيده ويخرج فيدخل الأصدقاء).

حسن (إلى الدكتور)**:** مسكين هذا الفتى يا دكتور! رقيق العواطف جدًّا. (يرى شعبان فيوجِّه إليه الحديث) شعبان أفندي! كيف أنت الآن؟

شعبان (متأففًا)**:** كيف أنا الآن؟ نغمة جديدة لم أسمعها من قبل!

حسن (ببساطة وسلامة نية)**:** نغمة جديدة! المسألة بسيطة جدًّا؛ وهي أن فريدًا ابن عمي قد عُين معاون إدارة في أسيوط والحمد لله، فهل نسيت أنك رفضت أن تساعده في توظيفه؟

شعبان: إهانة أخرى يا حسن بك، وإنك لتعرفني رجلًا لا أفرط في ذرة من كرامتي. (لرمضان) هَلُمَّ بنا يا أخي وحسبنا إهانة وتحقيرًا!

رمضان (بشيء من الغضب)**:** ألم أقل لك ذلك من قبل؟ لو كنت عملت برأيي ورفضت الحضور إلى هنا لكنت كفيتنا ما تحملناه من المنِّ والتجريح وألم العواطف!

شعبان: صدقت يا أخي. (لحسن بك) إننا يا سيدي نترك بيتك وننفض غباره عنَّا (يخرجان شمالًا).

حسن: تالله لم أفهم مما قالاه حرفًا! فهل تُراني كدَّرتهما بشيء دون أن أشعر؟

مرسي: لا تتكدَّر يا صديقي العزيز؛ لأن أخلاقهما جافة حقيقة وأنا وولدي فؤاد لا نهجرك (متلفتًا حوله) ولكن أين الغلام الطاهر؟

الصاغ: لقد رأيته منذ نحو الساعتين ذاهبًا إلى المحطة.

مرسي: ولدي؟!

الصاغ: نعم ولدك خيبة الله عليه! وكانت تسير إلى جانبه فتاة قروية يغازلها وتغازله.

مرسي (مندهشًا مبهوتًا)**:** ولدي أنا! ولدي الذي هو أطهر من زهرة وأودع من حَمَل!

الصاغ: نعم، وقد كلفني أن أخبرك بأنه مسافر إلى العاصمة لحضور حفلة سباق الخيل التي ستقام في الجزيرة غدًا.

مرسي (نادبًا)**:** هذه هي نتيجة اهتمامي بمصلحة غيري وإهمالي شئون ولدي. (لحسن بك) هذا كله بسببك!

حسن: بسببي!

مرسي: نعم، وقد كنت له أسوة وقدوة.

حسن: قدوة! إني لا أغازل فتاة ولا أحضر حفلة سباق.

مرسي (محتدًّا)**:** إن هذا لكثير! بل كثير جدًّا! لا يكفيك أنك أتلفت الطفل الصغير حتى تهزأ بعواطف أبيه! يا لضياعي وخيبة آمالي! حسبي الله فيك يا حسن بك يا رضوان!

حسن: ولكن …

مرسي: كفى يا سيدي كفى! ولتُصَبُّ على رأسك لعنات أب كليم الفؤاد!

حسن: ولكن ما دخلي وما ذنبي؟

مرسي: ذنبك؟ ألم تَدْعُني لزيارتك؟ ألم تَدْعُ طفلي معي؟ ألم تَدْعُنَا إلى هذه البؤرة؟ ولكن كفى! ولأبحث الآن عن الغلام التعس. لقد اتخذت من صداقتي سُلَّمًا لشقائي وتعاستي فيا ليتني كنت أنانيًّا (يخرج من الشمال).

الصاغ: إنه يدعوك حسن بك رضوان!

حسن: نعم، لأن اسمي حسن رضوان.

الصاغ: إذن، فأنت لست حسن بك شكري الذي كان مفتِّشًا في الدائرة السنية؟

حسن: كلَّا.

الصاغ: هل أنت متأكد؟

حسن: جدًّا.

الصاغ: إذن فيا لك! ماذا عساني أعمل هنا؟!

حسن: لقد تحيرت وقتًا طويلًا في البحث عن جواب لهذا السؤال.

الصاغ: إذن فلم يكن بيني وبينك معرفة من قبل؟

حسن: أبدًا.

الصاغ: ولكن كيف أمضيت هذين اليومين هنا، آكلًا شاربًا نائمًا لاهيًا كأني في منزل صديق عزيز! هذا مكدِّر للغاية!

حسن: بالطبع مكدِّر للغاية.

الصاغ: إذن فلماذا لم تقل لي من قبلُ أنك ... (يصافحه) ولكن ما باليد حيلة وهذه غلطة بالطبع، ولكنك رجل طيب. وعلى كل حال فالمسألة بسيطة جدًّا وإذا خطر لك في المستقبل أن تدعو صديقًا فاكتب لي بمركز كفر الشيخ غربية تجدني عندك في الحال، والآن وداعًا يا سيدي (ينحني ويخرج من الشمال).

حسن: ولكنه لم يقل لنا اسمه!

الدكتور: لأنه واثق من أننا لن نحتاج إليه.

(تدخل أمينة هانم من الباب الثاني اليمين.)

أمينة (تطل من الباب)**:** وحدكما؟

الدكتور: كما ترين (تدخل).

أمينة: وأين الأصدقاء؟

حسن: هجروني يا عزيزتي بعد أن أوسعوني ما أوسعوني مما لا داعي لذكره، وعفا الله عما سلف … أما أنت يا دكتور فإنك الصديق الوفيُّ حقًّا؛ لأنك أخلصت حين ندر الإخلاص ووفيت حين غاض الوفاء حتى لا أدري بماذا أكافئك اعترافًا مني بطهر صداقتك.

الدكتور: تالله ما كنت لِأَقْبَلَ على الوفاء أجرًا.

حسن: وتالله لن أكون أقل منك فضلًا، ولك نصف ثروتي هديةً أرجوك أن تقبلها!

الدكتور: ليس الإخلاص يا سيدي مرتزقًا.

أمينة: إنها هدية يا دكتور فبربك إلا ما قبلتها!

الدكتور: قبلتها يا سيدتي لأجعلها وقفًا على تعليم أبناء الفقراء، وبذلك تكون يا حسن بك أول من وضع حجرًا أساسيًّا في سبيل نهضة مصر.

(ستار)